المَاءُ وصِفَاتُه
في القرآنِ الكريم
(دراسة دلالية)

Water and Its Feature
in
the Glorious Quran
(Referential Study)

أ.م.د. أحمد عاشور جعاز
جامعة بغداد
كلية التربية / ابن رشد
قسم اللغة العربية

Asst.Prof. Dr. Ahmed `Ashur Ja`az
University of Baghdad
Ibin Rushd College of Education
Department of Arabics

... ملخص البحث ...

تنوعت السياقات التي وردت فيها لفظة (الماء)، فمرة جاءت في سياق دنيوي دالة على نعمة ونقمة، ومرة جاءت في سياق أخروي دالة على نعمة ونقمة، ومرة تأتي في سياق اثبات قدرة الله تعالى وفضله على المخلوقات.

ورافق صفات الماء في القرآن الكريم كثير من الملامح الدلالية المستوحاة من النصّ القرآني، من قبيل التعبير بالمفرد، والتعريف والتنكير، واستعمال حرف، مصاحب لهذه الصفة من دون آخر...إلخ.

وبيّن البحث أنّ هذه الملامح الدلالية لا تبتعد كثيراً عن الدلالة المركزية لصفة الماء في هذه الآية.

ووجد البحث صعوبة في ترجيح المعاني المستوحاة من الألفاظ الموضوعة لصفات الماء، لأنّ المعنى اللغوي يستوعبها جميعاً، فضلاً عن أنّ الله تعالى ربّما يجمع لهم جميع المعاني المذكورة في آن واحد، كنوع من التشريف والتكريم لهؤلاء المؤمنين.

وأصبحت بعض صفات الماء مصطلحات جديدة جاء بها القرآن الكريم للدلالة على شراب أهل النار، اعتماداً على المعنى اللغوي لها، وقد البسها حلّة جديدة، تمثّلت بعذاب الكفار يوم القيامة وعبّرت عن مزيد من الحزن والخوف، وهي صورة لم تكن معروفة قبل نزول القرآن الكريم.

...Abstract...

Contexts vary in manipulating the utterance of "ma" [water], one time it comes as mundane indicating bless and wrath, another time, it does as divine designating bless and wrath, or it comes to prove the power of the Almighty and His favours to fauna , flora and man.

It happens to have many a referential feature attached to the water in ***the Glorious Quran***, as being singular, with a definite or an indefinite article, or using a specific letter and so forth.

The paper exposes these referential features that are not far-flung from the feature of water in this Iyat.

Ostensibly, it is hard for the study to give preponderance to the meanings referring to the features of water, since the linguistic meaning covers them all. Besides, Allah, the Highest, may glean all these mentioned meanings in one context for venerating and honoring the believers.

Certain features of water grow as new concepts ***the Glorious Quran*** coins to designate the drink of people in the hell. They stem from its linguistic meaning, wreathed with a new shade decoding the perdition of the unbelievers in the doomsday and reveal the sense of agony and trepidation. Such an image was not known before the descent of ***the Glorious Quran***.

... المقدّمة ...

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمدٍ، وآله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغرّ الميامين، وبعد.

فمما لا شك فيه أنَّ الإنسان عاش محاطاً بعناصر الطبيعة وظواهرها المختلفة، لذلك أحبّ الطبيعة لمحاسنها، سواء أكانت قريبة كالرياض والأنهار، أم بعيدة كالنجوم والكواكب.

وقد وجدَ فيها منذ القدم مرتعاً لخياله، ومقيلاً لأفكاره، وكانت وحي مَنْ استلهمها، ينتشي باهتزاز أزهارها، وانسياب جداولها، وهدوء ظلّها، فيجود بالكلم الخالد، واللوحة الناطقة[1]. وقد كان الماء واحداً من عناصر الطبيعة التي كان الإنسان يتأمل فيها، ويبثها آلامه، فيصوّرها تارة ببصره، وأخرى بمشاعره.

وقد جاء ذكر الماء في القرآن الكريم ممتزجاً مع إعجاز الخالق، فكان ذكر الماء وصفاته، أو ما يدل عليه في سور كثيرة عكست لنا المعاني الثّرّة التي جاء بها القرآن الكريم له.

إنَّ ألفاظ الماء وصفاته في القرآن الكريم كثيرة جداً، وقد جاءت تحمل دلالات كثيرة ومتعددة أيضاً. ففيها ما جاء ليدلّ على الحياة، والجمال، والبهاء. وفيها ما جاء

ليدلّ على الموت، والصمت، والخشوع. وفيها ما جاء ليدلّ على الحزن، والخوف. فصور الماء في القرآن الكريم كثيرة، ودلالاتها أكثر جمالاً وروعة من ذكرها.

لقد جمع القرآن الكريم في استعماله للماء وصفاته بين الاستعمالين: المجازي والحقيقي، وقد حمل الماء وصفاته المعاني والدلالات الإيجابية للإنسان تارة، كما حمل الدلالات والمعاني السلبية التي كانت تثير حزن الإنسان وألمه تارة أخرى.

إنَّ ذكر الماء والنهر والبحر كلّها مثيرات للسرور، فذكرها مدعاة للارتياح وراحة النّفس، لأنّها تحقق الهدوء وشيئاً من الطمأنينة عند رؤيتها، وهذا أمر طبيعي لا غرابة فيه، لكن أن يكون ذكر هذه الأشياء مثيراً للحزن، والخوف، والقلق، في بعض مواطن القرآن الكريم، فهذا يستدعي منّا أن نبحث عن دلالة هذا الأمر.

ولذلك حاول هذا البحث أن يدرس صفات الماء في القرآن الكريم دراسة دلاليّة، ليبيّن عظمة الخالق في طريقة التّعبير عنها بأسلوب معجز، عكس لنا دلالات ومعاني ثرّة تقصّدها التّعبير القرآني قصداً.

معنى الماء لغةً واصطلاحاً

دار كلام طويل بين اللغويين على هذه اللفظة من جهتي التأصيل والجمع، ويمكن إيجازه على النحو الآتي:

أولاً: ذهب الأزهري إلى أنَّ أصل الماء: ماهٌ، إذ يقول: «وأصل الماء: ماهٌ بوزن تاه، فَثَقُلت الهاء مع الساكن قبلها، فقلبوا الهاء مَدّة فقالوا: ماء كما ترى، والدليل على أنَّ الأصل فيه الهاء قولهم: أماهَ فلانٌ رَكِيَّتَه وقد ماهتِ الرَّكِيَّة وهذه مُوَيْهَةٌ

عَذْبَةٌ، ويجمع: مياها»[٢]، وقال أيضاً: «والواحدة: ماهَةٌ وماءَةٌ»[٣]. ووافقه على ذلك المرادي إذ يقول: «ماء: أصله: ماهٌ، لقولهم في الجمع أمواهٌ، وفي التصغير: مُوَيْهٌ»[٤].

ثانياً: ذهب عدد كبير من اللغويين إلى أنّ أصل الماء: مَوَهٌ[٥]، فهذا ابن جني يقول: «وأما إبدال الهمزة عن الهاء، فقولهم: ماء، وأصله: مَوَهٌ، لقولهم: أمواهٌ فقلبت الواو ألفاً، وقلبت الهاء همزة فصار: ماء كما ترى، وقد قالوا أيضاً في الجمع: أمواء، فهذه الهمزة أيضاً بدل من هاء (أمواه)، أنشدني أبو علي:

وبلدةٍ قالصةٍ أمْواؤُها   ماصِحَةٍ رَأْدَ الضُّحى أفياؤها

ومن ذلك قولهم: (آل)، كقولنا: آل الله وآل الرسول، وإنّما أصلها: (أهل) ثم أبدلت الهاء همزة فصارت في التقدير: (أأل)، فلما توالت الهمزتان أبدلوا الثانية ألفاً، كما قالوا: (آدم وآخر)، وفي الفعل: (آمن وآزر)...»[٦].

وعقّب ابن سيده على قول ابن جني قائلاً: «والأكثر استعمالاً في الجميع رَدُّ الهاء وتصحيحها، كما أنّ الاستعمال في الواحد القلب وعليه التنزيل، والذي قال: (أمواء) شبّهه بالبدل اللازم نحو: عيد وأعياد، وقد أنشد أحمد بني يحيى:

إنّك يا جَهْضَمُ ماهُ القلبِ   ضَخْمٌ عَريضٌ مُجْرَئِشُّ الجَنْب

فهذا ينبغي أن يكون بنى منه فَعِلاً كقولهم: رجلٌ خافٌ ويومٌ راحٌ، كأنّه يصفه بخلاف التَّوَقُّد والذَّكاء، أو يكون أراد الماء الذي هو اسم، فاستعمل الأصل الذي هو الهاء، وأجراه عليه كما تُجْرَى الصفة وإن كان اسماً»[٧]. وإن كان بعضهم قد أنكر على ابن جني هذا الجمع وعدّه شاذاً لا يُقاس عليه[٨]، فهذا العكبري يقف على تأصيل اللفظة فنراه يوافق ما ذهب إليه ابن جني فيما يخص تأصيلها، إلا أنّه يرفض

الجمع الذي ذكره، فيقول: «وأما إبدال الهمزة من الهاء فقد جاء ذلك في حروف ليست بالكثيرة، والوجه في إبدالها أنّ مخرجيهما متقاربان إلا أنّ الهاء خفيّة والهمزة أبيّن منها، فأُبْدِل الخفيّ من البيّن، فمن ذلك ماء والأصل فيه: مَوَهٌ، لقولك في جمعه: أمواه ومياه، وماهتِ الرّكيّة تَموهُ، فقد رأيت لام الكلمة كيف ظهرت هاء في التصريف فأبدلوها همزة والواو ألفاً، وقد جاءت في الجمع أمواء على الشذوذ»[٩].

ونلحظ كذلك أنّ الفيومي يشكك بالجمع المذكور ولا يجزم به، فيقول: «الماء أصله مَوَهٌ، فقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، فاجتمع حرفان خفيّان فَقُلبت الهاء همزة ولم تُقْلَب الألف، لأنّها أُعِلّت مرة، والعرب لا تجمع على الحرف إعلالين، ولهذا يُرَدُّ إلى أصله في الجمع والتصغير فيقال: مياهٌ ومُوَيْهٌ، وقالوا: أمْوَاهٌ أيضاً مثل: باب وأبواب، وربّما قالوا: أمْواء بالهمز على لفظ الواحد»[١٠]. والواقع أنّ ابن جني لم يذكر صفة الشذوذ على هذا الجمع، بل إنّه استند إلى رأي أبي علي الفارسي المستند بالأساس إلى الشعر، يقول في شرح تصريف المازني بعد البيت: «فهذه الهمزة في الجمع إما أن تكون الهمزة التي كانت في الواحد، وإما أن تكون بدلاً من الهاء التي تظهر في (أمواه)، فكأنّه لفظ بالهاء في الجمع، ثم أبدل منها الهمزة كما فعل في الواحد»[١١]. وقد أورد ابن السكّيت كلمات أبدلت هاؤها همزة وبالعكس[١٢].

وممن أكد هذا المعنى كذلك ابن فارس بقوله: «الميم والواو والهاء أصل صحيح واحد، ومنه يتفرع كَلِمُه، وهي المَوَه أصل بناء الماء، وتصغيره: مُوَيْهٌ، وقالوا: وهذا دليل على أنّ الهمزة في الماء بدل من الهاء»[١٣]، وقال الجوهري: «لأنّه يجمع على (أمواه) في القلة و(مياه) في الكثرة، مثل: جَمل وأَجْمَال وجِمَال، والذاهب منه الهاء، لأن تصغيره: مُوَيْهٌ، فإذا أنّثته قلت: ماءة مثل: ماعة»[١٤].

وذكر ابن سيده أنّ «الماء والماه والماءةُ معروف، وحكى بعضهم: اسقني ماً، مقصورة، على أنّ سيبويه[١٥] قد نفى أن يكون اسم على حرفين أحدهما التنوين»[١٦]. ونقل الأزهري عن الليث قوله: «الماء: مدته في الأصل زيادة، وإنّما هي خلف من هاء محذوفة وفي الجمع: مياه. قال: ومن العرب من يقول: هذه ماءة كبني تميم يعنون الرّكيّة بمائها، فمنهم من يرويها ممدودة، ومنهم من يقول: ماة مقصورة وماء كثير على قياس: شاة وشاء»[١٧].

ثالثاً: أن أصل الماء: مَوَء، وقد تبنى هذا الرأي الشيخ الغلاييني إذ يقول: «الاسم الممدود هو اسم معرب، آخره همزة قبلها ألف زائدة مثل: السَّماء والصَّحراء، فإن كان قبل آخره ألف غير زائدة فليس باسم ممدود، وذلك مثل: الماء والداء، فهذه الألف ليست زائدة، وإنّما هي منقلبة. والأصل: مَوَء ودَوَء، بدليل جمعهما على: أمواء وأدواء»[١٨].

وأعتقد أنّ هذا الرأي ضعيف لا يُقاس عليه، ذلك أنّ أمّات المعجمات والكتب اللغوية لم تذكر هذا الأصل للفظة الماء، وإنّما ذكرت الأصلين السابقين-أعني: مَوَهٌ، وماهٌ -وعليه فنحن نلحظ منه سمات الضعف الذي تُبعده من الترجيح.

ويبدو لي -والله أعلم- أنّ الرأي الثاني هو الراجح هنا في تأصيل هذه اللفظة، لانعقاد إجماع العلماء عليه، فضلاً عن ذلك أنّه يتماشى مع القواعد اللغوية الموضوعة لهذه اللفظة وغيرها، وقد اتفق عليها القدماء والمحدثون، لأنّها أساس مهم في تأصيل الألفاظ.

وذكر الخليل أنّ النسبة إلى الماء: ماهِيٌّ[١٩]، في حين ذهب غيره إلى أنّ النسبة: مائِيٌّ وماوِيٌّ في قول من يقول: عَطاوِيّ[٢٠]. وقولهم: ماهتِ السفينة تَمُوهُ وتَماهُ:

إذا دخل فيها الماء، وأماهت الأرض: أي ظهر فيها النَّزُّ، ومن المجاز: سرج مُمَوَّه: مطلي بالذهب أو الفضة، وحديث مُموّه: مزخرف، وما أحسن مُوَهة وجهه!: ماءه ورونقه[٢١].

وبئرٌ ماهَةٌ ومَيِّهةٌ أي كثيرة الماء، وقولهم: حَفَر البئر حتى أماهَ وأَمْوَه أي: بلغ الماء[٢٢]، قال ابن منظور: «والماوِيَّة: المرأةُ صفة غالبة، كأنّها منسوبة إلى الماء لصفائها، حتى كأنّ الماء يجري فيها منسوبة إلى ذلك، والجمع: ماوِيٌّ»[٢٣]، ويقال: مُهْتُ الرجلَ ومِهْتُه بضم الميم وكسرها: سقيته الماء[٢٤].

فضلاً عن وجود كثير من المعاني لهذه اللفظة، دونتها أمّات المعجمات، فمن يريد الاستزادة فعليه الرجوع إلى مظانها.

أما معنى الماء اصطلاحاً فهو سائل تستمد منه جميع الكائنات حياتها إذ يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[الأنبياء: ٣٠]، ينبع من الأرض، أو ينزل من السماء، لا طعم له ولا رائحة ولا لون وهو جسم رقيق مائعٌ، وقيل هو جوهر سيّال به قوام الأرواح[٢٥]، وورد في تاج العروس: «الماء: معروف، أي الذي يشرب، وقال قوم هو جوهر لا لون له وإنّما يتكيّف بلون مقابله»[٢٦].

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم أربعاً وستين مرة[٢٧]، ثمان وأربعون مرة في آيات مكية، وست عشرة مرة في آيات مدنية، والمتأمل يجد أنّ هذه اللفظة وردت في سياقات عدة، فمرة نجدها في سياق النعمة، وتارة أخرى في سياق النقمة، ومرة في سياق دنيوي، وأخرى في سياق أخروي، ومرة أخرى في سياق إثبات قدرة الله وعظمته وفضله على المخلوقات، وتارة أخرى نراها مجردةً، وأخرى نراها موصوفةً، وكذلك نراها في بعض المواطن قد وردت في آيات يبدو منها الغموض

وعدم وضوح الدلالة، ولذلك وجدت من الضرورة أن أقف على دلالة الماء فيها، وبيان علاقاته الدلالية، قبل أن أضع يدي على صفات الماء والبحث عن دلالتها في سياقاتها الدنيوية والأخروية. ذلك أنّي أغفلت النظر في لفظة الماء في السياقات الآنفة الذكر والبحث في دلالتها على أساس أنّ المعنى فيها واضح لا لبس فيه، فهو السائل المعروف الذي به قوام الحياة، وهذا ما يعبّر عنه تعالى بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[الأنبياء: ٣٠]. وهو معنى لا يحتاج من الباحث الإطالة فيه، ولذلك سأبين دلالة الماء في هذه الآيات الغامضة على النحو الآتي:

أولاً: قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[هود: ٧].

تعددت الأقوال في معنى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء﴾، نظراً لما فيها من أمر غيبي، ذلك أنّه مرتبط بعرش الله تعالى يقول الراغب: «العرش في الأصل شيء مُسقّفٌ وجمعه عُرُوش،.... وعرش الله ما لا يعلمه البشر على الحقيقة إلا بالاسم، وليس كما تذهب إليه أوهام العامّة فإنّه لو كان كذلك لكان حاملاً له تعالى عن ذلك لا محمولاً، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ﴾[فاطر: ٤١]، وقال قوم هو الفلك الأعلى والكرسي فلك الكواكب»[٢٨].

وقيل: «المراد من العرش: الملك، يقال: فلان على عرشه أي: ملكه»[٢٩]، وقيل: «المراد بالعرش: إنّه تعالى لما خلق السموات والأرض سطّحها ورفع سمكها، فإنّ كلّ بناء يسمى عرشاً، وبانيه يسمى عارشاً، قال تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨]، أي: يبنون»[٣٠].

وقيل في معناه: «تقديره قبل خلق السموات والأرض، وفي هذا دليل على أن الماء والعرش كانا مخلوقين قبلهما»[٣١]، ونقل عن كعب الأحبار قوله: «خلق الله ياقوتة خضراء فنظر إليها بالهيبة فصارت ماء، ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها، ثم وضع العرش على الماء»[٣٢]، وروي عن ابن عباس أنّه وقد قيل له: على أيّ شيء كان الماء؟ قال: على متن الريح[٣٣]. وذكر الراغب أنّ الآية «تنبيه أنّ العرش لم يزل مُنذُ أوجد مستعلياً على الماء»[٣٤]. وقيل: إنّ المراد «أنّه ما كان تحت العرش خلق سوى الماء»[٣٥].

وقيل: إنّ المراد: «بناؤه على الماء، وإنّما ذكر الله تعالى ذلك، لأنّه أعجب في القدرة، لأن الباني يتباعد عن الماء إلى الأرض الصلبة، لئلا ينهدم بناؤه، والله بنى السموات والأرض على الماء، ليعرف العقلاء كمال قدرته»[٣٦]. وقيل: «إنّ الله عزّ وجلّ كان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وخلق القلم، فكتب به ما هو خالق وما هو كائن من خلقه»[٣٧]. وقيل إنّ المعنى: كقولهم: السماء على الأرض، وليس ذلك على سبيل كون أحدهما ملتصقاً بالآخر[٣٨]. «فالمعنى: وكان عرشه تعالى قبل خلق السموات والأرض على الماء لم يكن حائل محسوس بينهما، وإنّما قلنا محسوس، فإن بين السماء والأرض حائلاً هو الهواء، لكن لما لم يكن محسوساً لم يعد حائلاً»[٣٩]، أي: لم يكن بينهما- أي العرش والماء حائل، لا أنّه كان موضوعاً على متن الماء[٤٠].

وهذه الأقوال جميعاً قد نظرت إلى لفظة الماء في هذا السياق نظرة حقيقية، لم تتعد معناه العام المعروف، وهي محل نظر، ذلك أنّ السياق القرآني الذي وردت فيه هذه اللفظة يحتم علينا النظر المجازي لها، ذلك أنّه قد جاء مقترناً بمعنى يخص

الذات الإلهية وأعني لفظة العرش، ولا شك أنّها تؤخذ على المعنى المجازي، لأنّها من غيبيّات الخالق التي لا يستطيع أحد وصفها أو الوقوف على كنهها.

لذلك وجدنا بعض المفسرين ينظرون إليها نظرة مجازية، فهذا الطاهر بن عاشور يقول: «والمعنى أنّ العرش كان مخلوقاً قبل السماوات، وكان مُحاطاً بالماء، أو حاوياً للماء. وحمل العرش على أنّه ذات مخلوقة فوق السماوات هو ظاهر الآية. وذلك يقتضي أنّ العرش مخلوق قبل ذلك، وأنّ الماء مخلوق قبل السماوات والأرض، وتفصيل ذلك، كيفيته، وكيفية الاستعلاء مما لا قبل للأفهام به، إذ التعبير عنه تقريب.

ويجوز أن يكون المراد من العرش ملك الله وحكمه، تمثيلاً بعرش السلطان، أي كان ملك الله قبل خلق السماوات والأرض ملكاً على الماء»[٤١]. فإن قيل: ما الفائدة في ذكر أنّ عرشه كان على الماء قبل خلق السموات والأرض؟

وقد أجاب الرازي عن هذا السؤال بقوله: «والجواب: فيه دلالة على كمال القدرة من وجوه: الأول: أنّ العرش مع كونه أعظم من السموات والأرض كان على الماء، فلولا أنّه تعالى قادر على إمساك الثقيل بغير عمد لما صح ذلك، والثاني: أنّه تعالى أمسك الماء لا على قرار، وإلا لزم أن يكون أقسام العالم غير متناهية، ذلك يدل على ما ذكرناه. والثالث: أنّ العرش الذي هو أعظم المخلوقات قد أمسكه الله تعالى فوق سبع سموات من غير دعامة تحته ولا علاقة فوقه، وذلك يدل أيضاً على ما ذكرنا»[٤٢]

ثانياً: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[هود: ٤٤].

وردت لفظة الماء في هذه الآية مرتين، ولا بدّ لنا من تتبع الأثر الدلالي لها في كلتيهما.

الآية الأولى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ﴾.

البلع معروف وهو تجرّع الشيء وازدراده[٤٣]، قال ابن منظور: «بَلِعَ الشيء بَلْعاً وابْتَلَعَه وتَبَلّعه وسرَطَه سَرْطاً: جَرَعهُ وعن ابن الاعرابي، وفي المثل: لا يَصْلُحُ رفيقاً من لم يبتَلع ريقاً، والبُلعةُ من الشراب كالجُرْعةِ، والبَلُوع: الشّراب، وبَلِعَ الطعام وابْتَلَعَه: لم يَمضَغه وأبلعه غيره»[٤٤]، قال أبو حيان: «البلع: معروف، والفعل منه بَلِعَ بكسر اللام وبفتحها لغتان حكاهما الكسائي والفراء»[٤٥]. وقال الرازي: «وقال أهل اللغة: الفصيح بَلِعَ بكسر اللام يبلع بفتحها»[٤٦].

ذكر الطبري أنّ المعنى: تشرّبي[٤٧]، وقال الآلوسي: «أي: انشفي، استعير من ازدراد الحيوان، وقال الليث: يقال: بلع الماء: إذا شربه وهو ظاهر في أنّه غير خاص بالمأكول»[٤٨]، وقيل إن البلع بمعنى الازدراد لغة حبشية، وقيل إنّه بمعنى الشرب لغة هندية[٤٩]. وقال البيضاوي: «والبلع: النشف والإقلاع والإمساك»[٥٠].

قال الآلوسي: «(ماءك) أي: ما على وجهك من ماء الطوفان وعبّر عنه بالماء بعدما عبر عنه فيما سلف بأمر الله تعالى، لأنّ المقام مقام النقص والتقليل لا مقام التفخيم والتهويل»[٥١].

ومن المفسرين من نظر إلى الآية نظرة مجازية، فالزمخشري جعل البلع مستعاراً لنشف الأرض الماء[٥٢]، قال الآلوسي: «وهو أولى، فإن النشف دال على جذب من أجزاء الأرض لما عليها، كالبلع بالنسبة للحيوان، ولأنّ النشف فعل الأرض، والغور

فعل الماء مع الطباق بين الفعلين تعديّا، ثم استعار الماء للغذاء استعارة بالكناية، تشبيهاً له بالغذاء لتقوى الأرض بالماء في الإنبات للزروع والأشجار تقوي الآكل بالطعام، وجعل قرينة الاستعارة لفظة: (ابلعي)، لكونها موضوعة للاستعمال في الغذاء دون الماء». وقال أيضاً: «ولا يخفى عليك أنّه إذا اعتبر مذهب السلف في الاستعارة يكون (ابلعي) استعارة تصريحية، ومع ذلك يكون بحسب اللفظ قرينة للاستعارة بالكناية في الماء على حد ما قالوا في: ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾[البقرة: ٢٧]، وأما إذا اعتبر مذهبه فينبغي أن يكون البلع باقياً على حقيقته، كالإنبات في أنبت الربيع البقل وهو بعيد، أو يجعل مستعاراً لأمر متوهم كما في نطقت الحال، فليزمه القول بالاستعارة التبعية كما هو المشهور»[٥٣] ويردف قائلاً: «والحاصل أنّ في لفظ (ابلعي) باعتبار جوهر الاستعارة لغور الماء، وباعتبار صورته أعني كونه صورة أمر، استعارة أخرى لتكوين المراد، وباعتبار كونه أمر خطاب ترشيح للاستعارة المكنية التي في المنادى، فإنّ قرينتها النداء وما زاد على قرينة المكنية يكون ترشيحاً لها»[٥٤]، ثم بيّن الآلوسي أن لفظة الماء في هذه الآية وردت مجازاً، إذ يقول: «ثم قال جلّ وعلا: (ماءك) بإضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز، تشبيهاً لاتصال الماء بالأرض، باتصال الملك بالمالك، واختار ضمير الخطاب لأجل الترشيح، وحاصله أنّ هناك مجازاً لغوياً في الهيئة الإضافية الدّالّة على الاختصاص الملكي، ولهذا جعل الخطاب ترشيحاً لهذه الاستعارة من حيث إنّ الخطاب يدل على صلوح الأرض للمالكية»[٥٥].

ويقول ابن عطية: «هو تجرّع الشيء وازدراده، فشبّه قبض الأرض للماء وتسرّبه فيها بذلك، وأمرت بالتشبيه، وأضاف الماء إليها إذ هو عليها وحاصل فيها»[٥٦].

ويقول القرطبي: «هذا مجاز لأنّها موات. وقيل: جعل فيها ما تميز به، والذي قال إنّه مجاز قال: لوفتش كلام العرب والعجم ما وجد فيه مثل هذه الآية على حسن نظمها، وبلاغة رصفها، واشتمال المعاني فيها»(٥٧).

وقال الطاهر بن عاشور: «والبلع حقيقته: اجتياز الطعام والشراب إلى الحلق بدون استقرار في الفم. وهو هنا استعارة لإدخال الشيء في باطن شيء بسرعة، ومعنى: بلع الأرض ماءها: دخوله في باطنها بسرعة كسرعة ازدراد البالع بحيث لم يكن جفاف الأرض بحرارة الشمس أو الرياح، بل كان بعمل أرضي عاجل، وقد يكون ذلك بإحداث الله زلازل وخسفاً انشقت به طبيعة الأرض في مواضع كثيرة حتى غارت المياه التي كانت على سطح الأرض»(٥٨).

وقال أيضاً: «وإضافة الماء إلى (الأرض) لأدنى ملابسة، لكونه على وجهها. وإقلاع السماء مستعار لكفّ نزول المطر منها، لأنّه إذا كفّ نزول المطر لم يخلف الماء الذي غار في الأرض، ولذلك قدّم الأمر بالبلع، لأنّه السبب الأعظم لغيض الماء»(٥٩).

وعليه يكون معنى الآية: أنّ الله تعالى يخبر «أنّه لما غرق أهل الأرض إلا أصحاب السفينة، أمر الأرض أن تبلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها، وأمر السماء أن تُقلع عن المطر»(٦٠). قال ابن العربي: «التقى الماءان على أمر قد قدر، ما كان في الأرض وما نزل من السماء، فأمر الله ما نزل من السماء بالإقلاع، فلم تمتص الأرض منه قطرة، وأمر الأرض بابتلاع ما خرج منها فقط»(٦١).

وقد ذكر بعض المفسرين عدداً من الدلالات المستوحاة من هذه الآية، على النحو الآتي:

اختير لفظ (ابلعي) على (ابتلعي)، لكونه أخصر وأوفر تجانساً بـ(اقلعي)[٦٢].

قيل: (ماءك) بالإفراد دون الجمع، لما فيه من صورة الاستكثار المتأتي عنه مقام إظهار الكبرياء والعزة، وهو الوجه في إفراد الأرض والسماء[٦٣].

وإنّما لم يقل (ابلعي) بدون المفعول، لئلا يستلزم تركه ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وساكنات الماء بأسرهنّ[٦٤]، (نظراً إلى مقام عظمة الأمر المهيب، وكمال انقياد المأمور، ولما علم أنّ المراد بلع الماء وحده، علم أنّ المقصود بالإقلاع إمساك السماء عن إرسال الماء، فلم يذكر متعلق (اقلعي)، اختصاراً واحترازاً عن الحشو المستغنى عنه)[٦٥].

أنّ الله تعالى اختار (يا) للنداء، لأنّها أكثر استعمالاً ولدلالتها على تبعيد المنادى الذي يستدعيه مقام العزّة والهيبة، ولهذا لم يقل: يا أرضي (بالإضافة) تهاوناً بالمنادى، ولم يقل: (يا أيتها)، للاختصار مع الاحتراز عن تكلف التنبيه لمن ليس من شأنه التنبيه[٦٦].

اختير لفظ الأرض والسماء، لكثرة دوارنهما مع قصد المطابقة[٦٧].

ويبدو من جميع ما ذُكر أنّ الآية استعملت لفظة الماء على وجه الحقيقة لا المجاز، وأنّ المجاز الموجود في الآية يتمثل بلفظة (ابلعي) المقترنة بلفظة (الأرض)، فالمراد من ذلك كلّه هو تنشيف الأرض من الماء لا غير، وهو معنى حقيقي لا ريب فيه. فالآية تتضمن اذن مع الإيجاز والفصاحة دلائل القدرة.

الآية الثانية: ﴿وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء﴾.

الغيض في اللغة بمعنى النقصان، يقال: غاضَ الماءُ يَغِيضُ غَيْضاً ومَغيضاً

ومغاضاً، وانْغاضَ: نقص أو غار فَذَهَبَ[٦٨]، وذكر الجوهري أنّه: قَلَّ فنضَب[٦٩].
قال ابن عادل الدمشقي: «والغيض: النقصان، يقال: غاضَ الماء يغيضُ غَيْضاً ومغاضاً: إذا نقص، وغضته أنا. وهذا من باب فَعَلَ الشيءُ وفعلته أنا، ومثله: فغر الفَمُ وفغرته، ودلع اللسانُ ودلعتهُ، ونَقَصَ الشيء ونقصْتُه، وفعله لازم ومتعد، فمن اللازم قوله تعالى: ﴿وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ﴾[الرعد: ٨]، أي: تَنْقُص. وقيل: بل هو مُتعدٍّ وسيأتي، ومن المتعدي هذه الآية، لأنّه لا يُبنى للمفعول من غير واسطة حرف الجر إلاّ المتعديّ بنفسه»[٧٠].

واتفق المفسرون على أن معنى قوله تعالى: ﴿وَغِيضَ الْمَاء﴾: «من غاضه إذا انقصه حتى ذهبت زيادته عن الأرض[٧١]. وذكر بعضهم أنّه اختير (غيض) على غيض المشددة، للاختصار ولمثل هذا عرف الماء والأمر من دون أن يقال ماء الطوفان، أو أمر نوح للاستغناء عن الإضافة بالتعريف العهدي»[٧٢].

وذكر المفسرون عدداً من الملامح الدلالية في الآية عامة، أقصد قوله: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ﴾ و﴿وَغِيضَ الْمَاء﴾ وعلى النحو الآتي:

قال الزمخشري: «ومجيء اخباره على الفعل المبني للمفعول، للدلالة على الجلال والكبرياء، وأنّ تلك الأمور العظام لا تكون إلاّ بفعل فاعل قادر، وتكوين مكون قاهر، وأنّ فاعلها فاعل واحد لا يشارك في أفعاله، فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره: يا أرض ابلعي ويا سماء اقلعي، ولا أن يقضي ذلك الأمر الهائل غيره، ولا أن تستوي السفينة على الجودي وتستقر عليه إلاّ بتسويته وإقراره»[٧٣].

يقول البيضاوي: «والآية في غاية الفصاحة، لفخامة لفظها، وحسن نظمها، والدلالة على كنه الحال مع الإيجاز الخالي عن الإخلال، وفي إيراد الإخبار على البناء

للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل، وأنّه متعيّن في نفسه مستغن عن ذكره، إذ لا يذهب الوهم إلى غيره؛ للعلم به»[٧٤].

قال ابن عاشور: «بناء فعل (قِيلَ) للمفعول هنا اختصاراً، لظهور فاعل القول، لأنّ مثله لا يصدر إلا من الله، والقول هنا أمر التكوين، وخطاب الأرض والسماء بطريقة النداء، وبالأمر استعارة لتعلق أمر التكوين بكيفيات أفعال في ذاتيهما وانفعالهما بذلك كما يخاطب العاقل بعمله فيقبله، امتثالاً وخشية»[٧٥].

قال ابن عاشور: «وبني فعل (غِيضَ الماءُ) للنائب لمثل ما بني فعل: (وقِيلَ) باعتبار سبب الغيض، أو لأنّه لا فاعل له حقيقة، لأنّ حصوله مسبب عن سبب، والغيض: نضوبه في الأرض. والمراد: الماء الذي نشأ بالطوفان زائداً على بحار الأرض وأديتها»[٧٦].

قال ابن أبي الأصبع: «فأنت ترى اتيان هذه الجمل معطوفاً بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة، لأنّه سبحانه بدأ بالأهم، إذ كان المراد إطلاق أهل السفينة من سجنها، ولا يتهيأ ذلك إلا بانحسار الماء عن الأرض، فلذلك بدأ بالأرض، فأمرها بالابتلاع، ثم علم سبحانه أنّ الأرض إذا ابتلعت ما عليها من الماء ولم تقطع مادة الماء تأذى بذلك أهل السفينة عند خروجهم منها، وربما كان ما ينزل من السماء مخلفاً لما تبتلعه الأرض، فلا يحصل الانحسار، فأمر سبحانه السماء بالإقلاع بعد أمره الأرض بالابتلاع، ثم أخبر بغيض الماء عندما ذهب ما على الأرض، وانقطعت مادة السماء، وذلك يقتضي أن يكون ثالث الجملتين المتقدمتين»[٧٧].

من ذلك كلّه تتبيّن لنا الدلالات الثرّة التي أوحت بها لفظة الماء في هذا السياق القرآني، ما لا يدركه عقل بشر، أو لسان فصيح، (وروي أنّ أعرابياً سمع هذه الآية فقال: هذا كلام القادرين)[٧٨].

صفات الماء في القرآن الكريم

وردت في القرآن الكريم ألفاظ كثيرة جاءت مقترنة بلفظة الماء بوصفها صفة له، وقد حمل هذا الوصف دلالات ثرّة تقصّدها التعبير القرآني وهي على النحو الآتي:

١. ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ﴾

قال ابن فارس: «أَسَنَ: الهمزة والسين والنون أصلان، أحدهما تغيّر الشيء، والآخر السبب. فأما الأول فيقال: أَسَنَ الماء يأسِنُ ويأسُنُ: إذا تغيّر. هذا هو المشهور، وقد يقال: أَسِنَ قال الله تعالى: ﴿مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ﴾[محمد: ١٥]، وأسِنَ الرجُل: إذا غُشِيَ عليه من ريح البئر. وهاهنا كلمتان معلولتان ليستا بأصل، إحداهما الأُسُن وهو بقية الشحم، وهذه همزة مبدلة من عين، إنّما هو عُسُنٌ، والأخرى قولهم: تأسَّنَ تأسُّناً: إذا اعتلّ وأبطأ. وعلّةُ هذه أنّ أبا زيد قال: إنّما هي تأسَّرَ تأسُّراً، فهذه علتها. والأصل الآخر قولهم: الآسانُ: الجبال»[٧٩]. وقال الراغب: «وأَسَنَ الرجلُ: مَرِضَ مِنْ: أَسَنَ الماءُ إذا غُشِيَ عليه وقيل: تأسَّنَ الرَّجُلُ إذا اعتلَّ تشبيهاً به»[٨٠]. وقولهم أَسَنَ الماءُ يأْسِنُ أَسْناً وأُسوناً وهو الذي لا يشربه أحد من نتنه، ويقال: أَسَنَ الماءُ يأْسِنُ ويأْسُنُ أَسْناً وأُسوناً، وأَسِنَ بالكسر يأْسَنُ أَسَناً: تغير[٨١].

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم صفة للماء في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾[محمد: ١٥].

واللافت للنظر أنّ المفسرين لم يخرجوا عن المعنى اللغوي لهذه اللفظة كما ذكرتها كتب المعجمات، يقول الطبري: «يقول تعالى ذكره في هذه الجنة التي ذكرها أنهار من ماء غير متغيّر الريح، يقال منه: قد أَسَنَ ماء هذه البئر: إذا تغيرت ريح مائها فأنتنت، فهو يأسَنُ أَسَناً، وكذلك يقال للرجل إذا أصابته ريح منتنة: قد أَسِنَ فهو يأْسَن. وأما إذا أجَنَ الماء وتغير، فإنّه يقال له: أَسِن فهو يأسَن، ويأسن أسوناً، وماء أسن»[٨٢]. وقرأ العامة: (آسن) بالمد، وقرأ ابن كثير: (أسِنَ) بالقصر وهما لغتان مثل: حاذر وحذِر. فهو صفة مشبهة أو صيغة مبالغة، وقرأ (يَسِن) بالياء بدل من الهمزة قال أبو علي: وذلك على تخفيف الهمزة[٨٣]. وذكر الأخفش أنّ أسَن للحال، وآسن (مثل فاعل) يراد به الاستقبال[٨٤].

وعلى ذلك يكون معنى الآية: «من ماء غير متغيّر الطعم والرائحة واللون، وإن طالت إقامته بخلاف ماء الدنيا، فإنّه يتغيّر بطول المكث في منافعه، وفي أوانيه مع أنه مختلف الطعوم مع أنحاء الأرض ببساطتها وشدة اتصالها، وقد يكون متغيراً بريح منتنة من أصل خلقته، أو من عارض عرض له من منبعه أو مجراه»[٨٥].

وكلّ ذلك يدل أنّ القرآن استعمل اللفظ في الآية الكريمة بمعناه اللغوي المعروف إلا أنّه أضفى عليه دلالة جديدة حُصرت بوصف الماء في الجنة بأنّه غير آسن أي غير متغير الطعم واللون وأنّه غير منتن.

٢. ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً﴾

قال الفراهيدي: «الثَّجُّ: شدة انصباب المطر والدَّم»[٨٦]. وقال ابن فارس: «ثَجَّ: الثاء والجيم أصل واحد، وهو صبُّ الشيء يقال: ثَجَّ الماءَ: إذا صَبّه، وماءٌ ثجّاجٌ أي: صَبّاب. قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً﴾[النبأ: ١٤]. يقال اكتظَّ الوادي بثجيج الماء: إذا بلغ ضَرِيرَيْه... وفي الحديث[٨٧]: (**أفضل الحَجِّ العَجُّ والثَّجُ**) فالعجُّ رفعُ الصّوت بالتلبية. والثّجُّ سيلانُ دماء الهَدْي»[٨٨]. وقال ابن منظور: «الثَّجُّ: الصَّبُّ الكثير وخصّ بعضهم به صَبَّ الماء الكثير، ثَجَّهُ يَثُجُّه ثّجّاً فَثَجَّ وانْثَجَّ وثجَجْته فَتَثَجْثَجَ... والثَّجُ: السيلان، ومطرٌ مِثَجٌّ وثَجّاجٌ وثَجِيجٌ... وثَجِيجُ الماء: صوت انصبابه»[٨٩].

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم صفة للماء في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجاً * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً﴾[النبأ:١٤- ١٦]. تناول المفسرون هذه الآية من جهتين:

الأولى: تمثّلت ببيان معنى المعصرات.

الثانية: تمثّلت ببيان معنى قوله تعالى: ﴿مَاءً ثَجَّاجاً﴾.

وحري بنا أن نقف على آرائهم في هذين المعينين، لأنّهما متلازمان فنقول: اختلف أهل التفسير في المعنيّ بالمعصرات، فقال بعضهم: عُنِيَ بها الرياح التي تعصر في هبوبها، ودليلهم قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً﴾[الروم: ٤٨][٩٠].

فإن قيل على هذا التأويل: كان ينبغي أن يقال: (وأنزلنا بالمعصرات) قال الرازي: قلنا: الجواب من وجهين:

الأول: أنّ المطر إنّما ينزل من السحاب، والسحاب إنّما تثيره الرياح، فصحّ أن يقال: هذا المطر إنّما حصل من تلك الرياح، كما يقال: هذا من فلان، أي من جهته وبسببه.

الثاني: أنّ (من) ههنا بمعنى الباء والتقدير: (وأنزلنا بالمعصرات)، أي: بالرياح المثيرة للسحاب، ويروى عن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعكرمة أنّهم قرؤوا: (وأنزلنا بالمعصرات)، وطعن الأزهري في هذا القول، وقال: «الأعاصير من الرياح وليست من رياح المطر، وقد وصف الله تعالى المعصرات بالماء الثجاج وجوابه: أنّ الإعصار ليس من رياح المطر، فلِمَ لا يجوز أن تكون المعصرات من رياح المطر»[٩١].

وقال آخرون: «بل هي السحائب التي تتصلب بالمطر ولمّا تمطر، كالمرأة المعصر التي قد دنا أوان حيضها ولم تحض»[٩٢]. وذكروا في تسمية السحاب بالمعصرات وجوهاً[٩٣].

أحدهما: المعصرات: السحائب بلغة قريش.

وثانيها: قال المازني: يجوز أن تكون المعصرات هي السحائب ذوات الأعاصير، فإنّ السحائب إذا عصرتها الأعاصير لابدّ وأن ينزل منها المطر.

وثالثها: أنّ المعصرات هي السحائب التي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر، كقولك: أجز الزرع إذا حان له أن يجز، ومنه: أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض. وقال آخرون: بل هي السماء[٩٤].

وقال الآلوسي: «ولما كانت معصرة اسم مفعول لا معصرة اسم فاعل قيل إنّها جمع معصرة من أعصر، على أنّ الهمزة فيه للحينونة، أي: حانت وشارفت أن تعصرها الرياح فتمطر... وجوز على تقدير كون الهمزة للحينونة أن يكون المعنى: حان لها أن تعصر أي تغيث، ومنه العاصر: المغيث، ولذا قال ابن كيسان: سميت السحائب بذلك، لأنّها تغيث فهي من العصرة، كأنّه في الأصل بمعنى حان أن تعصر بتخييل أنّ الدم يحصل منها بالعصر»[٩٥].

قال الزمخشري: «فإنْ قلت: فما وجه من قرأ: (من المعصرات) وفسرها بالرياح ذوات الأعاصير، والمطر لا ينزل من الرياح؟ قلت: الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدرّ أخلافه فصحّ أن تجعل مبدأ للإنزال، وقد جاء أنّ الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء إلى السحاب، فإنّ صحّ ذلك فالإنزال منها ظاهر، فإن قلت: ذكر ابن كيسان أنّه جعل المعصرات بمعنى المغيثات، والعاصر هو المغيث لا المعصر. يقال: عصر فاعتصر. قلت: وجهه أن يريد اللاتي أعصرن، أي حان لها أن تعصر، أي: تغيث»[٩٦].

وقال آخرون: بل هي السماء[٩٧]. وتعقّب هذا المعنى «بأنّ السماء لا ينزل منها الماء بالعصر، فقيل في تأويله إنّ الماء ينزل من السماء إلى السحاب، فكأنّ السماوات يعصرن أي يحملن على عصر الرياح السحاب ويمكّن منه، وتعقّب بأنّه مع بعده إنّما يتم لو جاء العصر بمعنى العاصر أي الحامل على العصر ولو قيل المراد بالعصر الذي حان له أن يعصر كان تكلفاً على تكلف»[٩٨].

واختار الطبري معنى السحاب من بين المعاني المذكورة إذ يقول: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إنّ الله أخبر أنّه أنزل من المعصرات - وهي

التي قد تحلّبت بالماء من السحاب-ماء. وإنّما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأنّ القول في ذلك على أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرت، والرياح لا ماء فيها فينزل منها، وإنّما ينزل بها، وكان يصحّ أن تكون الرياح لو كانت القراءة: (وأَنزلنا بالمُعْصِرَات) فلما كانت القراءة: (من المُعْصِرَات) علم أنّ المعنّي بذلك ما وصفت. فإن ظنّ ظانّ أنّ الباء قد تعقب في مثل هذا الموضع من قيل ذلك، وإن كان كذلك، فالأغلب من معنى: (من) غير ذلك، والتأويل على الأغلب من معنى الكلام. فإن قال: فإنّ السماء قد يجوز أن تكون مراداً بها، قيل: إنّ ذلك وإن كان كذلك، فإن الأغلب من نزول الغيث من السحاب دون غيره»[٩٩]. ويبدو أنّ هذا المعنى هو الأقوى، لرجاحة الأدلة التي ذُكرت له، فضلاً عن أنّ سياق الآية يعضّد منه ويقويه.

وأما قوله تعالى: ﴿مَاءً ثَجَّاجاً﴾ فقد ذكر المفسرون أن معناه: ماءً منصباً يتبع بعضه بعضاً كثج دماء البدن، وذلك سفكها[١٠٠] وقيل إن معناه: الكثير[١٠١]، وقد أنكر قوم هذا المعنى قال الطبري: «حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب: (ماءً ثجاجاً) قال: كثيراً، ولا يُعرف في كلام العرب من صفة الكثرة الثجّ، وإنّما الثجّ: الصب المتتابع»[١٠٢].

وذكر الزمخشري: أنّ مثاجج الماء: مصابُّه، والماء يثجج في الوادي. وكان ابن عباس مثجّاً، يعني يثج الكلام ثجّاً في خطبته[١٠٣]. وقال ابن عادل: «ثجَّ الماء بنفسه، أي: انصبَّ، وثجَجْتهُ أنا، أي: صَبَبْتُهُ ثجاً وثُجُوجاً، فيكون لازماً ومتعدياً... وقرأ الأعمش: (ثَجّاحاً) بالحاء المهملة أخيراً»[١٠٤].

وقال الرازي: «وأما الثجاج فأعلم أنّ الثج شدة الانصباب، يقال: مطر ثجّاج ودم ثجّاج أي شديد الانصباب. وأعلم أن الثج قد يكون لازماً وهو بمعنى

الانصباب كما ذكرنا، وقد يكون متعدياً بمعنى الصب،.... وقد فسروا الثّجّاج في هذه الآية على الوجهين، وقال الكلبي ومقاتل وقتادة: الثجّاج ههنا المتدفق المنصب، وقال الزّجاج معناه: الصبّاب، كأنّه يثج نفسه أي يصب»[١٠٥]. وأنكر الآلوسي معنى الكثرة للفظ الثج فقال: «واختير جعل ما في النظم الكريم من اللازم، لأنّه الكثير في الاستعمال، وجعله الزجاج من المتعدي كأنّ الماء المنزل لكثرته يصب نفسه، ومن المتعدي ما في قوله ﷺ: (أفضل الحج العجُّ والثّجُّ) أي رفع الصوت بالتلبية وصبّ دماء الهدي، والمراد أفضل أعمال الحج التلبية والنّحر، ولا يأبى الكثرة كون الماء من المعصرات، وظاهره أنّه بالعصر وهو لا يحصل منه إلا القليل، لأنّ ذلك غير مسلم، ولو سلم فالقلة نسبية»[١٠٦]. وعلى ذلك يكون المعنى المراد: «تتابع القطر حتى يكثر الماء فيعظم النفع به»[١٠٧].

٣. ﴿وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ﴾

الحميم: هو الماء الشديد الحرارة، وكذلك الحَميمة، يقال: شربتُ حَميمةً أي ماءً ساخناً[١٠٨]، والحَمَّةُ: العين الحارة، يستشفي بها الأعِلاّء والمرضى[١٠٩]، وقالوا عن الغيظ بأنّه حميم، وسموا العرق الذي يخرج بسبب الحرارة حميماً[١١٠]، والحميم أيضاً هو القريب الذي يهمك أمره[١١١]، وقيل: إنّ الحميم هو الماء البارد[١١٢].

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم صفة للماء في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ﴾[محمد: ١٥].

وقد اتفق المفسرون، على أنّ المراد من الحميم: هو الماء المغلي الشديد الحرارة، الذي يقطّع الأمعاء من شدة حرارته، حتى قيل إنّه يغلي منذ خلق السموات والأرض إلى يوم يسقونه(١١٣).

وكما نرى أنّ هذا المعنى ليس بجديد على الإنسان، ولكن الجديد فيه، أنّ هذا الحميم قد جعله الله تعالى وسيلة قاسية لعذاب الكفار، فأصبح شراباً لهم يوم القيامة على سبيل المجازاة والعقوبة، يزاد على العذاب بالنار الحارقة.

وبعد بيان هذه الحقيقة، فلنتأمل قليلاً في التعبير القرآني، لنرى كيف عبر عن حقيقة الحميم؟ وماذا أوحت لنا هذه الحقيقة من دلالات قصد إليها ذلك التعبير قصداً؟، وقد تجلى ذلك في موطنين هما:

الأول: نلاحظ أنّ القرآن قد وصف الحميم بأنه آن، في قوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾[الرحمن: ٤٤]، وقد قيل في تفسيره بأنّه الذي انتهت شدة حرّه ونضجه(١١٤)، فقد (كانت العرب تقول للشيء إذا انتهى حره، حتى لا يكون شيء آخر منه، قد أني حرّه)(١١٥). وكأنّ الله تعالى يريد بهذه الصفة، تأكيد الحقيقة القاسية للحميم، فالحميم ليس ماءً مغلياً فحسب، وإنّما هو ماء حار جداً قد انتهى حرُّه إلى أبعد الحدود التي تفوق كلّ وصف، وعليه فإننا نجد في هذه اللفظة تصويراً مرعباً للحرارة التي يتميز بها ذلك الحميم، مما أوحى لنا بمضاعفة العذاب.

الثاني: أنّ الله تعالى قد شبّه حال الكفار عند شربهم الحميم، وعدم ارتوائهم منه، على الرغم من حرارته، بأنّه كشرب الهيم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾[الواقعة: ٥١-٥٦].

وقد ذكر لنا المفسرون في تفسير ذلك التشبيه وجهين، تبعاً للمعنى اللغوي للفظة (الهيم)، وهما:

الأول: أنّ الهيم هنا هي الرمال، وهو جمع هَيَام بالفتح، وهو الرمل الذي لا يتماسك، أو هي الرمّال التي لا تروى من الماء لتخلخلها[١١٦]، فهذا الرّمل فيما إذا صبّ عليه الماء، فإنّه ينشّفه ويمتصه امتصاصاً، حتى كأنّه لا يروى لسرعة غور الماء فيه[١١٧].

الثاني: أنّ المراد بالهيم: الإبل التي يصيبها داء الهُيَام، وهو داء يكسبها العطش، فتمتص الماء مصّاً فلا تروى، واحدها أهيم، والانثى هيماء[١١٨]، فهذه الإبل كلّما شربت من الماء، فإنّها لن تروى منه بسبب هذا المرض، حتى تهلك.

ومهما يكن من شيء، فكلا الوجهين يعطي لنا معنى واحداً مفاده: أنّ الكافر في الآخرة، لا يرتوي من هذا الماء المغلي، فكلّما شرب منه، طلب المزيد، على الرغم من حرارته القاسية التي تصهر بطنه، وعليه فإنّ هذا المعنى المتمثل بلفظة (الهيم)، بيّن لنا العطش العظيم والدائم الذي ينتاب أهل النار.

٤. ﴿خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ﴾

قال ابن فارس: «الدال والفاء والقاف أصل واحد مطّردٌ قياسه، وهو دفع الشيء قُدُماً. من ذلك: دَفَقَ الماءُ، وهو ماءٌ دافقٌ. وهذه دُفْقَةٌ من ماء. ويُحمَل قولهم: جاؤوا دُفْقَةً واحدة، أي مرّةً واحدة.... والدِّفَقُّ على (فِعَلّ) من الإبل: السريع»[١١٩]. والانْدِفاقُ: الانصباب، والتدفُّق: التّصبب، قال ابن منظور: «دفَقَ الماءُ والدَّمْعُ يَدْفِقُ

ويَدْفُقُ دَفْقاً ودُفُوقاً وانْدفَقَ وتدَفَّق واستَدفَقَ: انْصبَّ، وقيل: انصبّ بمرَّة فهو دافق أي مدفوق كما قالوا: سِرٌّ كاتِمٌ أي مكتوم، لأنّه من قولك: دُفِق الماء على ما لم يسم فاعله»[١٢٠].

وذكر الأزهري أنّ الدَّفْق في كلام العرب هو صَبُّ الماء وهو متعدّ، يقال: دَفَقْتُ الكوز فاندفق وهو مدفوق، وذكر أنّه لم يسمع: دَفَقْتُ الماءَ فَدَفَق لغير الليث، وذكر الأزهري أنّ ذلك جائزٌ في النعوت، لأنّ الليث ذهب إلى قوله تعالى[١٢١]: ﴿خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ﴾[الطارق: ٦]. ويقال: دفقَ اللهُ روحه: إذا دعا عليه بالموت[١٢٢].

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم صفة للماء في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ*خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ*يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ*إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾[الطارق:٥- ٨].

اختلف المفسرون في وصف الماء بأنّه دافق في هذه الآية على وجوه:

الأول: قال الزَّجّاج: معناه النّسبة إلى الدَّفق الذي هو مصدر (دَفق) أي ذو اندفاق كما يقال: دَارع وفَارِس ونَابِل ولابن وتامر، أي: ذو درع وفرس ونَبل ولَبن وتَمر، وذكر الزّجّاج أنّ هذا مذهب سيبويه[١٢٣].

الثاني: أنّ دافق بمعنى مدفوق، ذلك أنّهم يسمون المفعول باسم الفاعل، وذكر المفسرون أنّ أهل الحجاز يجعلون المفعول فاعلاً إذا كان في مذهب النعت، كقولهم: سِرٌّ كاتمٌ، وهمٌّ ناصِبٌ، وليلٌ نائمٌ، وكقوله تعالى: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[الحاقة: ٢١] أي مرضية[١٢٤].

الثالث: صاحب الماء لما كان دافقاً أطلق ذلك على الماء على سبيل المجاز[١٢٥].

قال الآلوسي: «وقيل هو اسم فاعل واسناده إلى الماء مجاز وأسند إليه ما لصاحبه مبالغة أو استعارة مكنية وتخييلية كما ذهب إليه السكاكي ومصرحة بجعله دافقاً، لأنّه لتتابع قطراته كأنّه يدفق، أي يدفع بعضه بعضاً»[١٢٦].

وقد فسّر ابن عطية الدَّفق بالدّفع فقال: «الدّفق: دفع الماء بعضه إلى بعض، تدفق الوادي والسيل إذا جاء يركب بعضه بعضاً، ويصحّ أن يكون الماء دافقاً، لأنّ بعضه يدفع بعضاً، فمنه دافق ومنه مدفوق»[١٢٧]. وتعقبه أبو حيان بأنّ الدّفق بمعنى الدفع غير محفوظ في اللغة، بل المحفوظ أنّه الصّبّ، ونقل عن الليث أنّ (دفق) بمعنى انصبّ بمرة، فدافق بمعنى منصبّ فلا حاجة إلى التأويل[١٢٨].

ونلحظ أنّ الزمخشري جمع بين المعنيين السابقين فقال: «والدَّفق: صبّ فيه دفعٌ»[١٢٩]. وأعتقد أنّه الراجح هنا، لأنّه يستند إلى المعنى اللغوي للدَّفق، ومن معانيه: الصّبّ والدّفع. كما ذكرنا آنفاً.

وذكر الزمخشري ملمحاً دلالياً مهماً يتمثل في التعبير عن الماء بلفظ المفرد مع أنّ الإنسان مخلوق من ماء الرّجل والمرأة معاً، يقول معلّلاً: «ولم يقل ماءين، لامتزاجهما في الرّحم، واتحادهما حين ابتدئ في خلقه»[١٣٠]. وقال أبو حيان في معنى قوله: (ماءٍ دافقٍ): «وهو مني الرّجل والمرأة، لمّا امتزاجاً في الرّحم واتحدا عبّر عنهما بماء وهو مفرد»[١٣١].

وفي الوقت الذي اتفق فيه المفسرون على أنّ المراد بالصُّلب في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾: هو صلب الرّجل وهو العمود العظمي الكائن في وسط الظهر، وهو ذو الفقرات[١٣٢].

نراهم يختلفون في معنى (الترائب) وموضعها على خمسة أقوال هي[١٣٣]:

الأول: عن ابن عباس أنّ التّرائب موضع القلادة من صدر المرأة.

الثاني: قال آخرون: الترائب: ما بين المنكبين والصدر.

الثالث: قال آخرون: هي اليدان والرّجلان والعينان.

الرابع: وقال آخرون: هي الأضلاع التي أسفل الصلب.

الخامس: وقال آخرون: هي عصارة القلب ومهما يكون الولد.

ونلحظ أنّ الطبري يرجح القول الأول، لشيوعه في كلام العرب، إذ يقول: »والصّواب من القول في ذلك عندنا، قول من قال: هو موضع القلادة من المرأة، حيث تقع عليه من صدرها، لأنّ ذلك هو المعروف في كلام العرب، وبه جاءت أشعارهم«[١٣٤]. ويعضّد هذا الرأي قول الطاهر بن عاشور: «ومحرر أقوال اللغويين فيها أنّها عظام الصدر التي بين الترقوتين والثّديين ووسموه بأنّه موضع القلادة من المرأة»[١٣٥].

وبذلك يكون القرآن الكريم أبدع في وصف كيفيّة خلق الإنسان بأقل العبارات التي حملت معها معنى مكثفاً، ودلالة جديدة، ذلك أنّ الله تعالى (وصف هذا الماء الدافق، لإدماج التعليم والعبرة بدقائق التكوين، ليستيقظ الجاهل الكافر ويزداد المؤمن علماً ويقيناً. ووُصف أنّه يخرج من بين الصُلب والتّرائب، لأنّ النّاس لا يتفطنون لذلك)[١٣٦].

٥. ﴿وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ﴾

الصَّدُّ في اللغة: الإعراض والصُّدود، يقال: صَدَّ عنه يَصِدُّ ويَصُدُّ صَدّاً وصُدوداً: أعرض. ويقال: صَدَّ يَصُدُّ ويَصِدُّ صديداً، أي ضجَّ وعَجَّ[١٣٧]. (وصديد الجرح: ماؤه الرقيق المختلط بالدم قبل أن تَغْلُظَ المِدّة، تقول: صَدَّ الجرح: إذا صارفيه المِدَّة)[١٣٨]، والصديد الذي كأنّه ماء وفيه شُكْلة[١٣٩]، وقيل إنّه الدم والقيح اللذان يسيلان من الجسد[١٤٠].

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم صفة للماء في قوله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ*يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾[إبراهيم: ١٦-١٧].

وقد اتفق المفسرون على أنّ المراد من الصديد هنا هو ما يسيل من أجسام أهل النار من القيح والدم[١٤١]، وفي ضوء ذلك، يكون المعنى: أنّه يسقى الصديد مكان الماء، كأنّه قال: يُجعل ماؤه صديداً، ويجوز كذلك أن يكون المعنى على التشبيه، أي: أنّه يسقى ماء كأنّه صديد[١٤٢].

إذن فهذا شراب في غاية الحرارة التي تجعل الكفار يعانون أقسى أنواع العذاب عند شربه، وهذا ما أكده الرسول ﷺ في تفسير هذه الآية حينما قال[١٤٣]: **(يُقرّب إليه فيكرهه، فإذا أُدني منه شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطّع أمعاءه، حتى يخرج من دبره)**[١٤٤]، ونجد في هذا المعنى صورة جديدة، تمثلت بجعل هذا الصديد المقزز شراباً لأهل النار، فعلى الرغم من عذاب النار، نرى الكفار يحسون بالعطش فيستغيثون بماء يروي ظمأهم ويخفف عنهم آلام النار، فكانت تلبية استغاثتهم بماء مؤلف من الدم والقيح الخارجين من أجسادهم، فيضطرون إلى شربه كرهاً،

لذلك فإنّ لفظ الصديد هنا «يعطي إيحاء رهيباً بالإضافة إلى العطش والحرمان من الماء؛ لأنّه يوحي بالأذى والألم الشديد»[١٤٥]، وهذا الألم العظيم المتولد من شرب الصديد، قد عكسه لنا قوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾[إبراهيم: ١٧]، ويعني أنّ الكافر يشرب ذلك الصديد، جرعة جرعة، وليس مرة واحدة لمرارته[١٤٦]، أما الاساغة في قوله: ﴿وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾، فهي إجراء الشراب في الحلق، يقال: ساغ الشراب سَوْغاً وسَوَاغاً: إذا سهل مدخله في الحلق[١٤٧]، وعليه يكون معنى الآية: «لا يقارب أن يشربه تكرهاً له وهو يشربه، والمعنى أنّ نفسه لا تقبله لحرارته ونتنه، ولكن يكره عليه»[١٤٨]، من ذلك نعلم أيّ عذاب عظيم ينتظر الكفار عند شرب هذا الماء المسمى بالصديد أو الذي كأنّه الصديد.

٦. ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾

ذكر اللغويون أن طهوراً بضم الطاء بمعنى التطهير، وبفتح الطاء يكون مصدراً وصفة واسماً لما يتطهر به[١٤٩]، قال الراغب: «والطّهور قد يكون مصدراً فيما حكى سيبويه في قولهم: تطهرتُ طَهوراً وتؤضأت وضُوءاً، فهذا مصدر على فَعُول، ومثله: وقَدْتُ وَقُوداً، ويكون اسماً غير مصدر كالفَطور في كونه اسماً لما يُفطر به ونحو ذلك: الوُجُورُ والسَّعُوطُ والذَّرُورُ، ويكون صفة كالرَّسُول ونحو ذلك من الصفات»[١٥٠].

الملاحظ أن العلماء اختلفوا في مدلول لفظ (الطهور) في القرآن الكريم على ثلاثة أقوال:

الأول: أن الطهور الوارد في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾ [الإنسان: ٢١]: هو مبالغة في الطاهر، لتكون صفة للماء، وسبب الوصف لمن يعلم أن الطهارة صفة ذاتية له(١٥١). وذكر الزمخشري أنّ الطهور: هو البليغ في الطهارة(١٥٢)، وعليه فإنّ صيغة (فَعُول) صيغة مبالغة تدل على الكثرة في الطهارة، ذلك أن (صيغة فَعُول تكون للمبالغة في الفاعل، فإذا كان فاعل البناء لازماً يكون فعوله أيضاً فيه، فلا يفيد التعدية)(١٥٣)، وهذا الكلام مبني -إذن- على أساس أن الطّهور بالفتح من الأسماء اللازمة بمعنى الطاهر، فالعرب لا تفرّق بين الفاعل والفعول في التعدي واللزوم، فما كان فاعله لازماً كان فَعوله لازماً أيضاً، كقولهم: قاعد وقعود، وضارب وضروب(١٥٤)، (لأن فعولاً لا تفيد المبالغة في فائدة فاعل، كما يقال: ضروب وأكول، لزيادة الأكل والضرب، ولا يفيد شيئاً مغايراً له، فعلى هذا لا يكون بمعنى المطهِّر عنده، لأن كونه مطهِّراً مغاير لمعنى الطاهر، فلا تتناوله المبالغة، ولأنّه قد يُستعمل فيما لا يفيد التطهير كقوله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾[الإنسان: ٢١]...)(١٥٥).

الثاني: الطّهور اسم لما يتطهر به، كالسّحور لما يتسحر به، والوقود لما يوقد به، فهو من الأسماء المتعدية بمعنى المطهر لغيره(١٥٦)، قال ثعلب: «الطّهور: هو الطاهر في نفسه المُطهِّر لغيره»(١٥٧)، وعن الأزهري هو الطاهر المطهِّر(١٥٨)، أما الأول فقد ذكر الكثير من اللغويين أنّ الطّهور بالفتح من الأسماء المتعدية وهو المطهر غيره(١٥٩)، وأما الثاني: فلأنه مراد فيه فيكون حقيقة، أما إرادته فلقوله ﷺ: (**جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**)(١٦٠)، ولو أراد الطاهر لم يكن له مزية، وقوله ﷺ وقد سئل عن الوضوء بماء البحر؟ فقال: (**هو الطهور ماؤه، الحلّ ميتته**)(١٦١)، ولو لم يرد كونه مطهراً لم يصلح جواباً، ولأن فعوله للمبالغة، ولا تتحقق إلا مع فائدة التطهير،

ولأنهم يقولون: ماء طهور، ولا يقولون: ثوب طهور، فلا بدَّ من فائدة تختص بالماء، ولا تظهر إلا مع إفادة التطهير لغيره[١٦٢].

وقد أنكر بعض العلماء هذا القول، فذهبوا إلى الطهور هو الطاهر بنفسه لا المطهر لغيره، فهذا الراغب يقول: «قال أصحاب الشافعي ﷺ: الطهور بمعنى المطهّر، وذلك لا يصح من حيث اللفظ، لأن فَعُولاً لا يُبنى من أفْعَل وفَعَّل، وأنما يُبنى ذلك من فَعُل»[١٦٣]، والملاحظ أن الراغب عقب قوله هذا، يلتمس تأويلاً مناسباً يؤكد القول بطهرية الماء في غيره، وبذلك يكون قد أوقع نفسه في تناقض، إذ يقول: «وقيل إن ذلك اقتضى التطهير من حيث المعنى، وذلك أن الطاهر ضربان: ضرب لا تتعداه الطهارة، كطهارة الثوب، فإنه طاهر غير مطهر به، وضرب يتعداه، فيجعل غيره طاهراً به»[١٦٤] ويقول القاري في إنكاره لهذا القول: «إنّ الطهور هو الماء الذي يتطهر به، ولا يجوز أن يكون طاهراً في نفسه مطهراً لغيره، لأن عدولهم عن صيغة الفاعل إلى (فعول) أو (فعيل) لزيادة معنى، لأن اختلاف المباني لاختلاف المعاني»[١٦٥]، ويقول المطرزي: «وما حكي عن ثعلب: أن الطهور ما كان طاهراً في نفسه مطهراً لغيره، وإن كان هذا زيادة بيان لنهايته فصواب حسن، وإلا فليس (فعول) من التفعيل، وقياس هذا على ما هو مشتق من الأفعال المتعدية كـ(قطوع) و(منوع) غير سديد»[١٦٦].

وذهب ابن الأثير إلى التفريق بين الماء الطهور والطاهر، إذ يقول: «الماء الطهور في الفقه هو الذي يرفع الحدث ويزيل النجس، لأن فَعولاً من أبنية المبالغة، فكأنه تناهى في الطهارة، والماء الطاهر غير الطهور، هو الذي لا يرفع الحدث ولا يزل النجس، كالمستعمل في الوضوء والغُسل»[١٦٧]، وقد فرّق ابن رجب أيضاً بين صيغتي فعول.

وفاعل فقال: «إن الطهور ليس بمعنى الطاهر كما يقول بعض الفقهاء، فإن طهارة الأرض مما لم تختص به هذه الأمة، بل اشتركت فيه الأمم كلها، وإنما اختصت هذه الأمة بالتطهير بالتراب، فالطهور هو المُطَهِّر»[١٦٨]، أي فعول بمعنى مُفَعِّل، وليس فيها فاعل وهو بذلك يخالف بعض الفقهاء من أن الطهور بمعنى الطاهر.

الثالث: ذهب الشيخ المجلسي إلى المزاوجة بين القولين السابقين، وجعل أحدهما متمماً للآخر من دون ترجيح قول على آخر، ما دام الاستدلال يؤكد مطهرية الماء، إذ يقول: «فقد ظهر لك مما نقلنا أن ما في العنوان يحتمل الضم والفتح[١٦٩]، وأنه وإن صحت المناقشة في كون الطهور بمعنى المطهِّر فيما استعمل فيه من الآيات والأخبار، نظراً إلى قياس اللغة، لكن الظاهر أنه قد جعل اسماً لما يتطهر به كما صرح به المحققون من اللغويين، وقد نقلنا كلام بعضهم وفسره به بعض المفسرين أيضاً، وتتبع الروايات مما يورث ظناً قوياً بأن الطهور في اطلاقاتهم المراد منه المُطهِّر، إما لكونه صفة بهذا المعنى، أو اسماً لما يتطهر به، وعلى التقديرين تتم استدلالات القوم على مطهرية المياه بأنواعها بالآيات والأخبار»[١٧٠]. وهذا ما يطمئن إليه الباحث ويرجحه في هذا المقام.

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم صفة للماء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً﴾[الفرقان: ٤٨-٤٩]. والملاحظ أنّ المفسرين لم يخرجوا عن المعاني التي جاء بها اللغويون والعلماء لبيان معنى (الطَّهور)، ولذلك فإنّهم ذكروا الأقوال السابقة في تفسير لفظة (الطّهور) في هذه الآية[١٧١]. والمعنى: «أنّ الماء النازل من السماء هو بالغ نهاية الطهارة في جنسه من المياه»[١٧٢].

٧. ﴿لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً﴾

الغَدَق في اللغة: المطر الكثير العامّ وقد غَيْدَقَ المطرُ: كثر، والغَدَقُ أيضاً: الماء الكثير وإنْ لم يكن مطراً[١٧٣]. وذكر الزَّجَّاج أنّ الغَدَق المصدر، والغَدِق اسم الفاعل، يقال: غَدِق يَغْدَقُ غَدَقاً فهو غَدِقٌ إذ كثر الندى في المكان أو الماء[١٧٤]. قال الزمخشري: «وماء غَدِقٌ وغَدَقٌ: كثير، وقد غَدِق غَدَقاً ومكانٌ غَدِقٌ ومُغْدِقٌ: كثير الماء مخصب. وعيشٌ غَدِقٌ ومُغْدِقٌ وغَيْدقٌ وغَيْداق: واسع»[١٧٥]. وذكر الراغب أنّ الغَدَق بمعنى الماء الغزير ومنه: غَدِقَتْ عنه تَغَدَقُ، والغَيْداق يقال فيما يَعْزُرُ من ماء وعدو ونُطْقٍ[١٧٦]. وقولهم: غَيْدَق الرجلُ: كثر لُعابه على التشبيه[١٧٧].

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم صفة للماء في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً!لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً﴾[الجن: ١٦-١٧].

واللافت للنظر أنّ المفسرين اختلفوا في دلالة لفظ (غدقاً) في هذه الآية من حيث نسبتها إلى المجاز أو الحقيقة. وقبل أن نوضح آراءهم في ذلك لابدّ أن نقف على قوله تعالى ﴿اسْتَقَامُوا﴾ لنعرف إلى من يرجع الضمير، لأنّه يرتبط بالمعنى العام للفظة الغَدَق في هذه الآية، وقد ذكر الرازي أنّ فيه ثلاثة أقوال[١٧٨]:

القول الأول: أنّ الضمير عائد إلى الجنّ الذين تقدّم ذكرهم ووصفهم، أي هؤلاء القاسطون لو آمنوا لفعلنا بهم كذا وكذا.

القول الثاني: أنّ المراد الإنس، واحتجوا عليه بوجهين[١٧٩]: **الأول**: أنّ الترغيب بالانتفاع بالماء الغدق إنّما يليق بالإنس لا بالجن. **والثاني**: أنّ هذه الآية إنّما نزلت

بعدما حبس الله المطر عن أهل مكة سنين، أقصى ما في الباب أنّه لم يتقدم ذكر الإنس، ولكنه لما كان ذلك معلوماً جرى مجرى قوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[القدر: ١].

القول الثالث: أنّ الإنس والجنّ يدخلون فيه، ذلك أنّه تعالى لما أثبت حكماً معللاً بعلة وهو الاستقامة، وجب أن يعمّ الحكم بعموم العلة.

ولكننا نرى أنّ الطاهر بن عاشور يرفض الكلام المتقدم ويرجع الضمير إلى أمرين[١٨٠]:

الأول: يجوز أن يعود إلى القاسطين من دون اعتبار القيد أنّهم من الجنّ، وذكر أنّ ذلك من عود الضمير إلى اللفظ مجرداً عن ما صدقه كقولك: عندي درهم ونصفه، أي نصف درهم آخر.

والثاني: يجوز أن يكون عائداً إلى غير مذكور في الكلام، ولكنه معروف من المقام، على أساس أنّ السورة مسوقة للتنبيه على عناد المشركين وطعنهم في القرآن، فضمير (استقاموا) عائد إلى المشركين، ولا يناسب أن يعاد على القاسطين من الجن، إذ لا علاقة للجن بشرب الماء.

أما قوله تعالى: ﴿لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً﴾ فقد ذكر المفسرون أنّ المراد بالغدق في هذه الآية ثلاثة أقوال[١٨١]: **أحدها**: أنّه الغيث والمطر، وهو كما نرى معنى يدخل في باب الحقيقة الحسية. **والثاني**: أنّه إشارة إلى الجنة، كما قال: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[البقرة: ٢٥]. **والثالث**: أنّه المنافع والخيرات، جعل الماء كناية عنها، لأنّ الماء أصل الخيرات كلّها. ولا شك أن المعنيين الثاني والثالث يدخلان في باب المجاز لا الحقيقة.

وعلى ذلك المعنى ذكر المفسرون أنّ الضمير في قوله (استقاموا) إن كان راجعاً إلى الجنّ كان في الآية قولان[١٨٢]:

أحدهما: لو استقام الجنّ على الطريقة المثلى، أي لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده لأنعمنا عليهم، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾[المائدة: ٦٥]. وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً!وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[الطلاق٢-٣]، لذلك فإنّ الله تعالى ذكر الماء كناية عن طيب الرزق وكثرة المنافع، فإنّ اللائق بالجنّ هو هذا الماء المشروب.

والثاني: أن يكون المعنى: وأنْ لو استقام الجنّ الذين سمعوا القرآن على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع، ولم ينقلوا عنها إلى الإسلام، لوسعنا عليهم الرزق، ونظيره قوله: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ﴾[الزخرف: ٣٣].

واختار الزّجّاج الوجه الأول، وحجته في ذلك أنّه تعالى ذكر الطريقة معرّفة بالألف واللام، فتكون راجعة إلى الطريقة المعروفة المشهورة وهي طريقة الهدى[١٨٣].

ويبدو أنّ المعاني المذكورة راجحة كلها، ذلك أنّ المعنى اللغوي يتسع لها، سواء أكانت حقيقة أم مجازاً، ولكننا نلمح أنّ المعنى الأول المتمثل بالماء الغزير أو الكثير هو الشائع لهذه اللفظة، ونحن نعلم أن مدار الفصاحة على الاستعمال، لذلك فإنّ ذهن الإنسان ينصرف إلى هذا المعنى الحسي لحظة سماعه هذه اللفظة.

وما دام القول بهذا المعنى لا يخل بالمعنى العام وبفصاحة الكلام فلا ضير من الأخذ به، نعم في حالة غموض المعنى الحسي فإننا نلجأ إلى المعنى المجازي، لنتخلص من الغموض، وما دام الأمر غير موجود في هذه الآية فلا مسوغ لحمل اللفظة على المجاز والله أعلم.

وهذه الحقيقة يؤكدها الطاهر بن عاشور إذ يقول: «وفي هذا إنذار بأنّه يوشك أن يمسك عنهم المطر فيقعوا في القحط والجوع، وهو ما حدث عليهم بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة ودعائه عليهم بسنين كسني يوسف... وقد كانوا يوم نزول هذه الآية في بحبوحة من العيش وفي نخيل وجنات، فكان جَعْل ترتّب الإسقاء على الاستقامة على الطريقة كما اقتضاه الشرط بحرف (لو) مشيراً إلى أنّ المراد: لأدمنا عليهم الإسقاء بالماء الغدق، وإلى أنّهم ليسوا بسالكين سبيل الاستقامة فيوشك أن يمسك عنهم الري. ففي هذا إنذار بأنّهم إن استمروا على اعوجاج الطريقة أمسك عنهم الماء. وبذلك يتناسب التعليل بالإفتان في قوله: (لنفتنهم فيه) مع الجملة السابقة إذ يكون تعليلاً لما تضمنه معنى إدامة الإسقاء، فإنّه تعليل للإسقاء الموجود حين نزول الآية، وليس تعليلاً للإسقاء المفروض في جواب (لو)، لأنّ جواب (لو) منتف فلا يصلح لأن يعلل به، وإنّما هم مفتونون بما هم فيه من النعمة، فأراد الله أن يوقظ قلوبهم بأنّ استمرار النعمة عليهم فتنة لهم فلا تغرّنّهم. فلام التعليل في قوله: (لنفتنهم فيه) ظرف مستقر في موضع الحال من (ماءً غَدَقاً) وهو الماء الجاري لهم في العيون ومن السماء تحت جنّاتهم وفي زروعهم، فهي حال مقارنة»[١٨٤].

٨. ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً﴾

قال ابن فارس: (الغين والواو والراء أصلان صحيحان: أحدهما خفوضٌ في الشيء وانحطاطٌ وتطامن، والأصل الآخر إقدامٌ على أخذ مالٍ قهراً أو حَرَباً.

فالأول: قولهم لقَعْر الشيء: غَوره. ويقال: غارَ الماءُ غَوْراً، وغارت عينه غُؤوراً... ويقال: غارت الشمسُ غِياراً: غابت[١٨٥]. والغَورُ ما انخفض من الأرض، والجَلْسُ ما ارتفع منها وقولهم: غار الماءُ غَوْراً وغُؤوراً: ذهب في الأرض وسَفَل فيها[١٨٦] يقول الفيومي: «الغَوْر بالفتح من كلّ شيء قعره، ومنه يُقال: فلان بعيدُ الغَوْر أي حقود، ويقال: عارِفٌ بالأمور وغارَ في الأمر إذا دَقّق النظر فيه»[١٨٧].

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم صفة للماء في آيتين **الأولى** قوله تعالى: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً!أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً﴾[الكهف:٤٠-٤١]. **والثاني** قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ﴾[الملك: ٣٠].

قال الطبري في بيان معنى الغور: «يقول: أو يصبح ماؤها غائراً، فوضع الغور وهو مصدر مكان الغائر، والعرب توحد الغور مع الجمع والاثنين، وتذكر مع المذكر والمؤنث، تقول: ماء غور، وماءان غَوْر، ومياه غَور. ويعني بقوله: (غَوْراً) ذاهباً قد غار في الأرض، فذهب فلا تحلقه الرِّشاء»[١٨٨].

وذكر الماوردي أنّ المعنى: «ويصبح ماؤها غوراً، فأقام (أو) مقام الواو، وغوراً يعني غائراً ذاهباً»[١٨٩]. وذكر كذلك أن قوله تعالى: ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً﴾ يحتمل له وجهين[١٩٠]:

الأول: فلن تستطيع رد الماء الغائر.

الثاني: فلن تستطيع طلب غيره بدلاً منه.

وذكر الرازي: أنّ قوله: ﴿مَاؤُهَا غَوْراً﴾: (أي غائراً وهو نعت على لفظ المصدر، كما يقال: فلان زور وصوم للواحد والجمع والمذكر والمؤنث، ويقال: نساء نوح أي نوائح)[١٩١]. والتعبير بالمصدر للمبالغة[١٩٢]، وقيل: إنّ المعنى: أو يصبح ماؤها ذا غور، فحذف المضاف مثل: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[يوسف: ٨٢][١٩٣]. وقال ابن عادل: «والزَّلَقُ والغَوْر في الأصل: مصدران وصف بهما للمبالغة. والعامة على فتح الغين، غارَ الماءُ يَغورُ غَوراً: غاض وذهب في الأرض، وقرأ البرجميُّ بضم الغين لغة في المصدر، وقرأت طائفة: (غُؤوراً) بضم الغين، والهمزة، وواو ساكنة، وهو مصدر أيضاً يقال: غَار الماء غُؤوراً مثل جَلس جُلوساً»[١٩٤].

من كلّ ما تقدّم نلحظ اجماع المفسرين على أنّ الغَور بمعنى الغائر، وهو وصف بالمصدر للمبالغة كما تقول: رجلٌ عدلٌ، ومعناه في الآية: ذاهباً في الأرض لا يستطاع تناوله وهذا كثير ولا شك أنّه معنى يستند إلى المعنى اللغوي لهذه اللفظة، وتحقق فيه معنى المبالغة في الوصف وهو أمر تقصّده التعبير القرآني هنا.

٩. ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاء فُرَاتاً﴾

الفُراتُ في اللغة: أشدُّ الماء عذوبةً، وقولهم: فَرُتَ الماءُ يَفْرُتُ فُروتَةً إذا عَذُبَ فهو فُراتٌ[١٩٥]. (وزان سَهُلَ سُهُولةً إذا عذُبَ ولا يجمع إلا نادراً على فِرْتَان مثل غِرْبان)[١٩٦].

قال الزبيدي: «الفُراتُ كَغُراب: يُكتب بالتاء والهاء، لغتان فصيحتان مشهورتان كالتابوت والتابوه نقله شيخنا عن التوشيح ولا يُجمع إلا نادراً: الماء العذب جداً»[١٩٧]. (ومياهٌ فِرْتانٌ وفُراتٌ كالواحد، والاسم الفُروتَةُ)[١٩٨]. وقولهم: فَرَتَ الرجلُ يَفْرُتُ فَرْتاً: فجر، وفَرِتَ الرجلُ بكسر الراء: إذا ضَعُفَ عقله بعد مُسْكَةٍ[١٩٩].

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم صفة للماء في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاء فُرَاتاً﴾[المرسلات: ٢٧]. وورد في آية أخرى مجردة من لفظة الماء، وإن كان السياق يوحي إليها وهي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[الفرقان: ٥٣].

اتفق المفسرون على أن المراد من الفُرات هنا: شديد العذوبة يقال: هذا ماءٌ فراتٌ: أي شديد العذوبة[٢٠٠]. وذكر الرازي أنّه البليغ في العذوبة حتى يصير إلى الحلاوة[٢٠١]، وذكر البيضاوي أنّه (قامع للعطش من فرط عذوبته)[٢٠٢].

وذكر ابن عادل أنّ «الفرات: المبالغ في الحلاوة، والتاء فيه أصلية لام الكلمة، ووزنه فُعَال. وبعض العرب يقف عليها هاء، وهذا كما تقدم في التابوت. ويقال: سُمّي الماء الحلو فراتاً، لأنّه يفرت العطش أي: يشقه ويقطعه»[٢٠٣].

وذكر الزمخشري أنّ التنكير في قوله: ﴿مَّاء فُرَاتاً﴾ «يحتمل إفادة التبعيض، لأن في السماء جبالاً قال الله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ﴾[النور: ٤٣] وفيها ماء فرات أيضاً، بل هي معدنه ومصبه، وأن يكون للتفخيم»[٢٠٤].

وعلى ذلك يكون المعنى العام: (أي عذباً جداً بأن خلقنا فيها أنهاراً ومنابع، أي جعلناه سقياً لكم ومكناكم من شربه وكذا من سقيه دوابكم ومزارعكم، وسمّي نهر الكوفة فراتاً للذته)[٢٠٥].

١٠. ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً﴾

قال الرّاغب: «أصل البَرْك صَدْرُ البعير وإن استعُمل في غيره، ويقال له بِرْكَةٌ وبَرَكَ البعير ألقى رُكَبَهُ واعتُبِرَ منه معنى الملزوم، فقيل: ابْتَرَكُوا في الحرب أي ثبتوا ولازموا موضع الحرب»[٢٠٦].

والبَرَكةُ: النّماء والزيادة، والتبريك: الدعاء للإنسان أو غيره بالبركة، يقال: بَرَّكْتُ عليه تَبْريكاً أي قلت له: بارك الله عليك، وقولهم: بارك الله الشيء وبارك فيه وعليه: وضع فيه البركة[٢٠٧]. وذكر الأزهري أنّ معنى بركة الله أي علّوه على كلّ شيء[٢٠٨]. وقولهم: تبارك الله: تقدّس وتنزّه وتعالى وتعاظم لا تكون هذه الصفة لغيره، والمتبارك المرتفع، وذكر الزجاج أنّ تبارك تفاعَلَ من البركة[٢٠٩]، ومعنى البركة الكثرة في كلّ خير[٢١٠]، قال الراغب: «والبركة: ثبوت الخير الإلهي في الشيء، قال تعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[الأعراف: ٩٦]. وسُمّي بذلك لثبوت الخير فيه ثبوت الماء في البِرْكة»[٢١١].

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم صفة لماء الجنة في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ! وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق:٩-١١].

وجدنا لدى المفسرين في معنى (المبارك) في قوله تعالى: ﴿مَاءً مُّبَارَكاً﴾ ثلاثة أقوال:

الأول: قيل إنّه يعني جميع المطر، كلّه يتصف بالبركة وإن ضرّ بعضُه أحياناً، ففيه مع ذلك الضَّرّ الخاص البركة العامة.

الثاني: ذكر بعض المفسرين أنّ قوله: (ماءً مباركاً) يريد به ماءً مخصوصاً خالصاً للبركة ينزله الله كل سنة، وليس كلّ المطر يتصف بذلك[٢١٢].

الثالث: أنّ المعنى: كثير المنفعة والخير[٢١٣]، من دون تخصيصه بالمطر، وإن كان سياق الكلام يدل عليه.

وأجد أنّ حمل المعنى على ماء المطر أولى، لأنّ الماء النازل من السماء هو ماء المطر، وقد جعل الله فيه خيراً كثيراً لجميع المخلوقات، يقول الرازي: «وسمّي المطر مباركاً ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً﴾[ق: ٩]، لما فيه من المنافع»[٢١٤].

وقال الرّاغب: «والمبارك ما فيه ذلك الخير، على ذلك﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾[الأنبياء: ٥٠]، تنبيهاً على ما يفيض عليه من الخيرات الإلهية... ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكاً﴾ [المؤمنون: ٢٩]، أي حيث يوجد الخير الإلهي، وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً﴾[ق: ٩]، فبركة ماء السماء هي ما نبّه عليه بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ﴾[الزمر: ٢١]. وبقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾[المؤمنون: ١٨]. ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يُحس وعلى وجه لا يُحصى ولا يُحصر، قيل لكل ما يُشاهَد منه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة»[٢١٥].

وقال الطاهر بن عاشور: «والمبارك: اسم مفعول للذي جُعلت فيه البركة، أي جُعل فيه خير كثير، وأفعال هذه المادة كثيرة التصرّف ومتنوعة التعليق. والبركة الخير النافع، لما تسبب عليه من إنبات الحبوب والأعناب والنخيل»(٢١٦). ثم نراه يبيّن لنا دلالة قوله ﴿مَاءً مُّبَارَكاً﴾ إذ يقول: «وفي هذه استدلال بتفصيل الإنبات الذي سيق إجماله في قوله: ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[ق: ٧]، لما فيه من سوق العقول إلى التأمل في دقيق الصنع لذلك الإنبات، وأنّ حصوله بهذا السبب وعلى ذلك التطور أعظم دلالة على حكمة الله وسعة علمه مما لو كان إنبات الأزواج بالطفرة، إذ تكون حينئذ أسباب تكوينها حفية فإذا كان خلق السماوات وما فيها، ومد الأرض، وإلقاء الجبال فيها، دلائل على عظيم القدرة الربانية، لخفاء كيفيات تكوينها، فإنّ ظهور كيفيات التكوين في إنزال الماء وحصول الإنبات والإثمار، دلالة على عظيم علم الله تعالى»(٢١٧).

١١. ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾

قال ابن فارس: «السين والكاف والباء أصلٌ يدلُّ على صبّ الشيء. تقول: سَكَبَ الماءَ يَسْكُبُهُ. وفرسٌ سَكْبٌ، أي ذريعٌ، كأنّه يسكُبُ عدْوَه سكباً، وذلك كتسميتهم إيّاه بحراً»(٢١٨).

وقال ابن منظور: «السَّكْبُ صَبُّ الماء، سَكَبَ الماء والدَّمْعَ ونحوهما يَسْكُبُه سَكْباً وتَسْكاباً فَسَكَبَ وانْسَكَبَ: صَبَّهُ فانْصَبَّ، وسَكَبَ الماءُ بنفسه سُكُوباً وتَسْكاباً وانْسَكَبَ بمعنى، وأهل المدينة يقولون: اسْكُبْ على يدي، وماءٌ سَكْبٌ وساكِبٌ وسَكُوبٌ وسَيْكَبٌ وأُسْكُوبٌ مُنْسَكِبٌ أو مَسكُوبٌ يجري على وجه الأرض من

غير حفر. ودمعٌ ساكِبٌ وماءٌ سَكْبٌ وُصِفَ بالمصدر، كقولهم: ماءٌ صَبٌّ وماءٌ غَوْرٌ»[٢١٩]. وقولهم: ماءٌ أُسْكُوبٌ أي جارٍ، وأمرٌ سَكْبٌ، أي لازم، وغلامٌ سَكْبٌ إذا كان خفيف الرُّوح نشيطاً في عمله[٢٢٠]. ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم صفة للماء في قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ!فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ!وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ!وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ!وَمَاء مَّسْكُوبٍ﴾[الواقعة:٢٧-٣١].

والمتأمل في أقوال المفسرين في معنى قوله: ﴿وَمَاء مَّسْكُوبٍ﴾ يجد أنّها لم تخرج عن المعنى اللغوي للفظة السَّكْب، ومدار كلامهم انحصر في أربعة معانٍ هي[٢٢١]:

الأول: أنّ المعنى: يسكب لهم أين شاؤوا وكيف شاؤوا لا يتعبون فيه.

الثاني: قيل إنّ المعنى: مصبوب يجري على الأرض في غير إخدود، لأنّ الماء المسكوب جارٍ في الهواء ولا نهر هناك، كذلك الماء في الجنة.

الثالث: معناه: مسكوب من فوق، لأنّ أكثر ماء العرب من الآبار والبرك فلا سكب للماء عندهم بخلاف المواضع التي فيها العيون النابعة من الجبال الحاكمة على الأرض تسكب عليها.

الرابع: قيل إنّه دائم الجرية لا ينقطع فهو ماء كثير، ذلك أنّ الماء عند العرب عزيز لا يسكب، بل يحفظ ويشرب، فإذا ذكروا النعم، يعدون كثرة الماء ويعبرون عن كثرتها بإراقتها وسكبها.

ولا ترجيح يذكر في هذه المعاني، لأنّها تستند إلى المعنى اللغوي الذي يستوعبها جميعاً، ولا شك في أنّ الله تعالى ربّما يجمع لهم جميع المعاني المذكورة في آن واحد، كنوع من التشريف والتكريم لهؤلاء المؤمنين.

قال الآلوسي: «كأنّه لما شبه حال السابقين بأقصى ما يتصور لأهل المدن، من كونهم على سرر تطوف عليهم خدامهم بأنواع الملاذ، شبّه حال أصحاب اليمين بأكمل ما يتصور لأهل البوادي من نزولهم في أماكن مخصبة فيها مياه وأشجار وظلال، إيذاناً بأنّ التفاوت بين الفريقين كالتفاوت بين أهل المدن والبوادي»[٢٢٢].

وفي هذا المقام لابدّ من التنبيه على أمر مهم مفاده: أنّ تأمل الآية يظهر مدى ملاءمة وصف الماء بلفظة (مسكوب) لطبيعة السياق الذي وردت فيه، وتتجلى آثار تلك المواءمة من جهتين:

الأولى: أنّ بنيتها (مَفْعُول) قد حافظت على تناسب الآية، وفواصل الآيات التي قبلها: (مخضود، منضود، ممدود، مسكوب).

الثانية: أنّها احدى مظاهر النعم التي هيأها الله تعالى لأهل الجنة.

١٢. ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾

المَعْنُ والمَعِينُ في اللغة: الماء السائل، وقيل الجاري على وجه الأرض[٢٢٣]. وقيل: الماء العذب الغزير، والمَعْنُ الماء الظاهر، والجمع: مُعُنٌ ومُعُناتٌ، ومياهٌ مُعْنانٌ وماء مَعينٌ أي: جارٍ، وكَلأٌ مَمْعون: جرى فيه الماء، ومَعَنَ الوادي: كَثُرَ فيه الماء فَسَهُل متناوله[٢٢٤]. وقولهم: أمْعَنَ الفرسُ: تباعد في عَدْوه[٢٢٥]. وذكر ابن دريد أنّ الميم في (مَعين) أصلٌ، فقولهم: ماء مَعْنٌ ومَعينٌ وقد مَعُنَ، فهذا يدل على أنّ الميم أصل ووزنه: فَعيل[٢٢٦].

وذكر الفراء أنّ وزنه (مفعول) في الأصل كـ(منيع)[٢٢٧]. وقيل: ماءٌ معينٌ هو من العين، والميم زائدة فيه[٢٢٨]. ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم صفة للماء في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ﴾[الملك: ٣٠].

وقد ذكر المفسرون أربعة أقوال في معنى قوله: ﴿مَاء مَّعِينٍ﴾ وهي[٢٢٩]:

الأول: يعني بالمعين الذي تراه العيون ظاهراً. فهو مفعول العين، كـ(مبيع).

الثاني: المراد به: ماء عذب.

الثالث: قيل إنّ الماء المعين هو الجاري من العيون وهو من الإمعان في الجري، كأنّه قيل: ممعن في الجري.

الرابع: قيل هو من مَعَن الماء أي كثر، فهو على صيغة (فعيل).

وعلى ذلك يكون التعبير القرآني قد أكسب هذه اللفظة معاني ثرية تتلاءم مع سياق الآية الوعيدي للكفار والعاصين، وهي معان معروفة عند الإنسان ولكن القرآن قد أتى بها في سياق رائع عَكسَ عظمة التعبير القرآني.

١٣. ﴿بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾

الهَمْرُ: صَبُّ الدَّمْعِ والماءِ والمَطَر، يقال: هَمَرَ الماءُ وانْهَمَرَ فهو هامِرٌ ومُنْهَمِرٌ: سال، والفَرَسُ يَهْمِرُ الأرض هَمْراً وهو شدّة حَفْرِه الأرض بحوافره، والهمّار: النَّمّام[٢٣٠]. ومنه: هَمَرَ له من ماله: أعطاه، والهَمِيرَةُ: العجوز[٢٣١].

وردهذااللفظ في القرآن الكريم صفة للماء في قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾[القمر: ١١]. وقد ذكر المفسرون أنّ معنى قوله تعالى ﴿بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾: منصَبّ في كثرة وتتابع[٢٣٢]. والملاحظ أنّ المفسرين ربطوا هذا المعنى بالكلام المتقدم عليه وهو قوله: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾، فنراهم قد اختلفوا في المراد من الفتح والأبواب والسماء حقائقها أو هو مجاز؟ لذلك فإنهم ذكروا قولين[٢٣٣]:

الأول: حقائقها وللسماء أبواب تفتح وتغلق ولا استبعاد فيه.

الثاني: هو على طريق الاستعارة، فإنّ الظاهر أنّ الماء كان من السحاب، وعلى هذا فهو كما يقول القائل في المطر الوابل: جرت ميازيب السماء، وفُتِحتْ أفواه القرب، أي كأنّه ذلك، فالمطر في الطوفان كان بحيث يقول القائل: فتحت أبواب السماء، ولا شك أنّ المطر من فوق كان في غاية الهطلان.

قال الطاهر بن عاشور: «وجملة: (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) مركب تمثيلي لهيئة اندفاق الأمطار من الجو بهيئة خروج الجماعات من أبواب الدار على طريقة: وسالت بأعناق المطي الأباطح»[٢٣٤].

وفي هذا المقام ذكر الرازي أنّ «قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا﴾ بيان أنّ الله انتصر منهم وانتقم بماء لا بجند أنزله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ*إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾[يس:٢٨-٢٩]، بياناً لكمال القدرة، ومن العجيب أنّهم كانوا يطلبون المطر سنين فأهلكهم بمطلوبهم»[٢٣٥].

وهذا الكلام يوجب أنّ الماء الموصوف بالانهمار كان أداة تدمير وانتقام، ومما يؤكد ذلك أنّ الوصف جاء في سياق الإخبار عن صورة الطوفان الذي أهلك الله

به الكفار من قوم نوح عليه السلام. وذكر بعض المفسرين أنّ الباء في قوله: ﴿بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ فيها وجهان[٢٣٦]:

أظهرهما: أنّها للتعدية ويكون ذلك على المبالغة في أنّه جعل الماء كالآلة المُفْتَتَح بها، كما تقول: فتحتُ بالمفاتيح.

والثاني: أنّها للحال، أي فتحناها ملتبسةً بهذا الماء.

وعلى ذلك يتبيّن لنا كثرة المعاني المقصودة من لدن الله تعالى بهذا التركيب البليغ الذي تحددت ملامحه في السياق القرآني كلّه، فأصبح كأنّه لوحة مترابطة الأجزاء، فقوله تعالى: ﴿بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ إنّما هو مبالغة وتمثيل لكثرة الأمطار وشدّة انصبابها، سواء جعل الباء في قوله (بماء) للاستعانة، وجعل الماء كالآلة لفتح أبواب السماء وهو ظاهر، أو جعلها للملابسة.

١٤. ﴿يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾

اختلف اللغويون في بيان معنى المهل في كلام العرب على أقوال عدة يمكن إيجازها على النحو الآتي:

الأول: المهل هو النحاس، أو المعدن المذاب[٢٣٧]، فقد سئل ابن مسعود عن قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾[الكهف: ٢٩]، فدعا بفضة فأذابها فجعلت تَميّع وتلوّن فقال: هذا مِنْ أشبه ما أنتم راؤون بالمهل[٢٣٨].

الثاني: المهل هو دردي الزيت[٢٣٩]، وقريب منه قول ابن سيده: «والمهل ضرب من القطران ماهِيٌ رقيق يشبه الزيت، يضرب إلى الصفرة، تُدْهن به الإبل في الشتاء»[٢٤٠].

الثالث: أنّ المهل هو القيح والصديد الذي يذوب فيسيل من الجسد[٢٤١].

الرابع: جعل معنى المهل عاماً، فقال عنه: إنّه الشيء يذاب حتى يماع بالنار، وهو مهل، لأنّه يمهل في النار حتى يذوب[٢٤٢].

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم صفة للماء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً﴾[الكهف: ٢٩].

ولم يخرج المفسرون عن المعاني التي جاء بها اللغويون لبيان معنى (المهل) ولذلك فإنّهم ذكروا الأقوال السابقة نفسها في تفسير لفظة (المهل)، في جميع آيات العقاب الأخروي[٢٤٣].

والملاحظ أنّ هذه الأقوال التي قيلت في تفسير المهل ترجع إلى التعميم الذي أطلق فيه اللفظ في البدء، إذ إنّه أطلق على كلّ ذائب، ثم أطلق على الزيت والدهان بسبب مشابهتها للمعادن المذابة، على أنّها سوائل أولاً، وأنّها متنوعة الألوان بتنوع الأشكال ثانياً، وعليه فلا تضاد يذكر في معاني المهل هنا؛ لأنّه متأت من تعميم اللفظ، ثم إطلاقه على أجزاء متعددة[٢٤٤]. ولذلك فإنّ جميع هذه الأقوال مرجحة ومقبولة، فهي متقاربة من حيث المعنى، إذ إنّها تلتقي جميعاً عند نقطة واحدة مفادها: أنّ المهل هو سائل في غاية الحرارة، جعله الله شراباً للكفار في الآخرة.

١٥. ﴿مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾

قال ابن فارس: «الميم والهاء والنون أصلٌ صحيح يدلّ على احتقار وحقارةٍ في الشيء. منه قولهم: مَهِينٌ، أي حقير. والمَهانة: الحقارة، وهو مَهينٌ بيّن المهانة»[٢٤٥]. والماهِنُ العبد الخادم والأنثى: ماهِنة، وامتهنَ نفسه: ابتذلها[٢٤٦].

قال ابن منظور: «المَهين يروى بفتح الميم وضمها، فالضّمّ من الإهانة، أي لا يهين أحداً من الناس، فتكون الميم زائدة، والفتح من المَهانة: الحقارة والصُّغْر، فتكون الميم أصلية»[٢٤٧]. ورجلٌ مَهينٌ من قوم مُهَناء أي ضعيف، والمَهانة: العِلّة[٢٤٨].

و رد هذا اللفظ في القرآن الكريم صفة للماء في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾[السجدة:٧- ٨]. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ*فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ*إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[المرسلات:٢٠- ٢٢].

ذكر المفسرون أنّ معنى قوله تعالى: ﴿مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ أي من نطفة ضعيفة رقيقة[٢٤٩]، أي جعل ذريته من نطفة سمّيت سلالة، لأنّها تنسلّ من الإنسان وتنفصل وتخرج من صلبه[٢٥٠]. ونرى أنّ الرازي يفصّل هذا المعنى فيقول: «وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ على التفسير الأول ظاهر، لأنّ آدم كان من طين ونسله من سلالة من ماء مهين هو النطفة، وعلى التفسير الثاني هو أنّ أصله من الطين، ثم يوجد من ذلك الأصل سلالة هي من ماء مهين، فإن قال قائل: التفسير الثاني غير صحيح، لأنّ قوله: »بدأ خلق الإنسان... ثم جعل نسله» دليل على أنّ جعل النسل بعد خلق الإنسان من طين، فنقول: لا بل التفسير الثاني أقرب إلى الترتيب اللفظي، فإنّه تعالى بدأ بذكر الأمر من الابتداء في خلق الإنسان فقال:

بدأه من طين ثم جعله سلالة ثم سواه ونفخ فيه من روحه، وعلى ما ذكرتم يبعد أن يقال: «ثم سواه ونفخ فيه من روحه» عائد إلى آدم أيضاً، لأنّ كلمة (ثمّ) للتراخي فتكون التسوية بعد جعل النسل من سلالة، وذلك بعد خلق آدم، واعلم أنّ دلائل الآفاق أدلّ على كمال القدرة كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ﴾[غافر: ٥٧]، ودلائل الأنفس أدلّ على نفاذ الإرادة فإنّ التغيّرات فيها كثيرة، وإليه الإشارة بقوله: «ثم جعل نسله... ثم سواهُ»، أي كان طيناً فجعله منيّاً ثم جعله بشراً سوّياً، وإضافة الرّوح إلى نفسه كإضافة البيت إليه للتشريف»[٢٥١].

وذكر ابن عادل أنّ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِينٍ﴾ نوعاً آخر من تخويف الكفار، وهو من وجهين[٢٥٢]:

الأول: أنّه تعالى ذكّرهم عظيم إنعامه عليهم، وكلما كانت نعمه عليهم أكثر كانت جنايتهم في حقه أقبح وأفحش، فيكون العقاب أعظم، فلهذا قال تعالى عقيب هذه الإنعام: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[المرسلات: ٢٤].

والثاني: أنّه تعالى ذكّرهم كونه قادراً على الابتداء، والظاهر في العقل أنّ القادر على الابتداء قادر على الإعادة، فلما أنكروا هذه الدلالة الظاهرة، لا جرم قال في حقهم: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

ونلاحظ أنّ الطاهر بن عاشور يبيّن العلاقة بين السلالة والنطفة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ﴾[السجدة: ٨]. فيقول: «وسمّيت النطفة التي يتقوم منها تكوين الجنين سلالة كما في الآية، لأنّها تنفصل عن الرجل، فقوله: ﴿مِّن مَّاء مَّهِينٍ﴾ بيان لـ (سُلالة). و(مِنْ) بيانية، فالسلالة هي الماء المهين، هذا هو الظاهر لمتعارف الناس، ولكن في الآية إيماء علمي لم يدركه الناس إلا في هذا العصر،

وهو أنّ النطفة يتوقف تكون الجنين عليها، لأنّه يتكون من ذرات فيها تختلط مع سلالة المرأة، وما زاد على ذلك يذهب فضله، فالسلالة التي تنفرز من الماء المهين هي النسل لا جميع الماء المهين، فتكون (مِنْ) في قوله: ﴿مِّن مَّاء مَّهِينٍ﴾ للتبعيض أو للابتداء»[٢٥٣].

وعلى ذلك نلحظ أنّ القرآن الكريم إنّما قصد الإتيان بهذا الوصف ليبيّن لنا أنّ «المهين: الشيء الممتهن الذي لا يعبأ به. والغرض من إجراء هذا الوصف عليه الاعتبار بنظام التكوين، إذ جعل الله تكوين هذا الجنس المكتمل التركيب العجيب الآثار من نوع ماء مهراق لا يعبأ به ولا يصان»[٢٥٤].

ويبدو أنّ السياق القرآني كان يقصد من وصف الماء بـ(المهين) إبراز عظمة القدرة الربانية التي تجلّت بين تلك النطفة الضعيفة من جهة، وبين خلق الإنسان وإبداعه في أكمل صورة من جهة أخرى.

١٦. ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾

قال الراغب: «الوحدةُ: الإنفراد، والواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتّة، ثم يُطلق على كلّ موجود حتى إنّه ما من عدد إلا ويصحّ أن يوصف به، فيقال: عشرةٌ واحدةٌ، ومائةٌ واحدةٌ، وألف واحدٌ... والوَحَدُ: المفرد، ويُوصف به غير الله تعالى... وأحدٌ مطلقاً لا يوصف به غير الله تعالى»[٢٥٥]. وقولهم: رجلٌ أَحَدٌ وَوَحَدٌ وَوَحْدٌ وَوَحيدٌ ومُتوحِّدٌ: أي منفرد والأنثى: وَحِدَةٌ، ورجلٌ وحيدٌ لا أحد معه يُؤنسه، وقولهم: كان رجلاً متوحّداً، أي: منفرداً لا يخالط الناس ولا يُجالسهم[٢٥٦].

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم صفة للماء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ*وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[الرعد:٣- ٤].

ذكر المفسرون في بيان معنى قوله تعالى ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ أقوالاً عدة[٢٥٧]:

الأول: أنّ المراد: ماء السماء، كمثل صالح بني آدم وخبيثهم أبوهم واحدٌ. وهم مختلفون في الخير والشر، والإيمان والكفر، كاختلاف الثمار التي تسقى بماء واحد.

الثاني: قيل إنّ هذا مَثل ضربَه الله لقلوب بني آدم. كانت الأرض في يد الرحمة طينة واحدة، فسطحها وبَطَحها، فصارت الأرض قطعاً متجاورة، فينزل عليها الماء من السماء، فتخرج هذه زهرتها وثمرها وشجرها. وتخرج نباتها وتحيي مواتها، وتخرج هذه سبَخَها وملحها وخَبَثها، وكلتاهما تسقى بماء واحد. فلو كان الماء مالحاً، قيل: إنّما استسبخت هذه من قبل الماء! كذلك الناس خلقوا من آدم، فتنزل عليهم من السماء تذكرة، فترقّ قلوب فتخشع وتخضع، وتقسو قلوب فتلهو وتسهو وتجفو[٢٥٨].

الثالث: أنّ المعنى: جميع ذلك يسقى بماء واحد دون المالح لا اختلاف في طبعه، سواء كان السقي من ماء الأمطار أم من ماء الأنهار[٢٥٩].

الرابع: أنّ المراد بقوله: (بماء واحد) هو ماء القدرة والحكمة[٢٦٠]. قال أبو حيان الأندلسي: «نبّه الله تعالى في هذه الآية على قدرته وحكمته، وأنّه المدبر للأشياء كلّها،

وذلك أنّ الشجرة تخرج أغصانها وثمراتها في وقت معلوم لا تتأخر عنه ولا تتقدم، ثم يتصعد الماء في ذلك الوقت علواً علواً وليس من طبعه إلا التسفل، يتفرق ذلك الماء في الورق والأغصان والثمر كلّ بقسط وبقدر ما فيه صلاحه، ثم تختلف طعوم الثمار والماء واحد، والشجر جنس واحد. وكلّ ذلك دليل على مدبر دبره وأحكمه، لا يشبه المخلوقات»[٢٦١]. وقال ابن عجيبة: «... (يُسقى بماء واحد ونُفضّلُ بعضها على بعض في الأُكُل) أي: في الثمر المأكول، قدراً وشكلاً، وطعماً، ورائحةً، ولوناً، مع اتفاق الماء الذي تُسقى به. وذلك مما يدل أيضاً على الصانع القادر الحكيم، فإن إيجادها مع اختلاف الأصول والأسباب، لا يكون إلا بتخصيص قادر مختار»[٢٦٢].

وعند التأمل في جميع الأقوال السابقة نجد أنّها تتلاءم والمعنى القرآني، لأنّها تصبّ في بوتقة واحدة ألا وهي قدرة الله تعالى، فهذا «وجه من العبرة، كأنّه قال: وفي الأرض قطع مختلفات بتخصيص الله لها بمعان، فهي تسقى بماء واحد ولكن تختلف فيما تخرجه، والذي يظهر من وصفه لها بالتجاوز أنّها من تربة واحدة، ونوع واحد، وموضع العبرة في هذا أبين»[٢٦٣].

... الخاتمة...

في ختام هذا البحث لابدّ من ذكر أهم النتائج العامة التي توصل إليها وهي على النحو الآتي:

١. أيّد البحث الرأي القائل: إنّ أصل الماء: (مَوَهٌ)، استناداً إلى إجماع العلماء عليه، فضلاً عن أنّه يتماشى مع القواعد اللغوية الموضوعة لهذه اللفظة.

٢. ضعّف البحث الرأي القائل إنّ أصل الماء (مَوَءَ)، وقد استند في ذلك إلى أمّات المعجمات والكتب اللغوية التي لم تذكر هذا الأصل لهذه اللفظة.

٣. تنوعت السياقات التي وردت فيها لفظة (الماء)، فمرة جاءت في سياق دنيوي دالة على نعمة ونقمة، ومرة جاءت في سياق أخروي دالة على نعمة ونقمة، ومرة تأتي في سياق اثبات قدرة الله تعالى وفضله على المخلوقات.

٤. وردت لفظة (الماء) في بعض الآيات وفيها نوع من الغموض، وعدم اتضاح الدلالة، مما استدعى الوقوف عليها، والبحث في دلالاتها، وبيّن البحث أنّ دلالة (الماء) فيها مرجحة بين الاستعمالين: الحقيقي والمجازي، على أساس أنّ السياق القرآني يساعد عليها.

٥. بيّن البحث أنّ لفظة (الماء) غير المقترنة بصفة قد أوحت بدلالات ثرّة، ولم تلتزم بدلالة واحد.

٦. استعمل القرآن الألفاظ المقترنة بلفظة (الماء) في الآية بمعناه اللغوي المعروف، إلاّ أنّه أضفى عليها دلالة جديدة تمثّلت بجعلها صفة للماء.

٧. بيّن البحث أنّ دلالة الألفاظ المعبّرة عن صفات الماء، لا يمكن أن تتحدد –في بعض الآيات – مستقلة بنفسها. وإنّما لابدّ من الوقوف على الكلام قبلها أو بعدها، ومن ثم تتحدد الدلالة النهائية للألفاظ. وهذا يعكس لنا أثر السياق في توضيح المعنى المراد.

٨. بيّن البحث أن صفات الماء في القرآن الكريم لا يمكن أن تتحدد بدلالة واحدة، تبعاً لتعدد معناها اللغوي، ويبدو أنّ القرآن الكريم تقصّد تعدد الدلالات، لأنّ تعدد الدلالات يقود إلى ثراء لغوي وفكري في آن واحد، ومن ثم يعكس لنا إعجاز الله تعالى في كتابه.

٩. رافق صفات الماء في القرآن الكريم كثير من الملامح الدلالية المستوحاة من النصّ القرآني، من قبيل التعبير بالمفرد، والتعريف والتنكير، واستعمال حرف، مصاحب لهذه الصفة من دون آخر...إلخ. وبيّن البحث أنّ هذه الملامح الدلالية لا تبتعد كثيراً عن الدلالة المركزية لصفة الماء في هذه الآية.

١٠. وجد البحث صعوبة في ترجيح المعاني المستوحاة من الألفاظ الموضوعة لصفات الماء، لأنّ المعنى اللغوي يستوعبها جميعاً، فضلاً عن أنّ الله تعالى ربّما يجمع لهم جميع المعاني المذكورة في آن واحد، كنوع من التشريف والتكريم لهؤلاء المؤمنين.

١١. أصبحت بعض صفات الماء مصطلحات جديدة جاء بها القرآن الكريم للدلالة على شراب أهل النار، اعتماداً على المعنى اللغوي لها، وقد ألبسها حلّة جديدة، تمثّلت بعذاب الكفار يوم القيامة وعبّرت عن مزيد من الحزن والخوف، وهي صورة لم تكن معروفة قبل نزول القرآن الكريم. والحمد لله ربّ العالمين.

١) ينظر: الطبيعة في القرآن الكريم: ١٣.
٢) تهذيب اللغة: ٥/ ٢٦٧ (موه)، وينظر: لسان العرب (موه).
٣) تهذيب اللغة: ٢/ ٣٨٧ (موه).
٤) توضيح المقاصد: ٣/ ١٥٦٥.
٥) ينظر: الاشتقاق: ١/ ٣١٦، وسر صناعة الإعراب: ١/ ١٠٠، ومعجم مقاييس اللغة: ٥/ ٢٣٠، والصحاح: (موه)، والمحكم: ٤/ ٤٤٤-٤٤٥، والمفردات: ٦٢٦، ولسان العرب، (موه)، وتاج العروس (موه). وغيرها كثير.
٦) سر صناعة الاعراب: ١/ ١٠٠-١٠١.
٧) المخصص: ٤/ ٤٢٤.
٨) ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب: ٢/ ٢٩٨.
٩) المصدر نفسه: ٢/ ٢٩٨.
١٠) المصباح المنير: ٩/ ١٠٤.
١١) المنصف: ٢/ ١٥٢.
١٢) ينظر: الكنز اللغوي: ٢٥.
١٣) معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٢٣٠.
١٤) الصحاح: (موه)، وينظر: المفردات: ٦٢٦.
١٥) ينظر: الكتاب: ١/ ٣٢٤.
١٦) المحكم: ٤/ ٤٤٤-٤٤٥.
١٧) تهذيب اللغة: ٥/ ٢٦٧ (موه)، وينظر: لسان العرب: (موه).
١٨) جامع الدروس العربية: ٧٤.

١٩) ينظر: العين: ٤/ ١٠١.
٢٠) ينظر: الصحاح: (موه)، واللسان: (موه).
٢١) ينظر: العين: ٤/ ١٠١، وأساس البلاغة: ٧٢٥.
٢٢) ينظر: أساس البلاغة: ٧٢٤، واللسان: (موه).
٢٣) اللسان: (موه)، وينظر: تاج العروس: (موه).
٢٤) ينظر: اللسان: (موه).
٢٥) ينظر: معالم التنزيل: ٤/ ٤٩٤، واللّباب في علوم الكتاب: ٩/ ٣٨٤.
٢٦) تاج العروس: (موه).
٢٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٧٩٨-٧٩٩.
٢٨) المفردات: ٤٣٤.
٢٩) اللباب في علوم الكتاب: ١٠/ ٢٦٠.
٣٠) المصدر نفسه: ١٠/ ٢٦٠.
٣١) ينظر: الكشف والبيان: ٥/ ١٥٨، والكشاف: ٢/ ٣٦١، والتفسير الكبير: ١٧/ ١٥٠، والبحر المحيط: ٥/ ٢٠٥.
٣٢) البحر المحيط: ٥/ ٢٠٥.
٣٣) ينظر: جامع البيان: ١٥/ ٢٤٤، والكشف والبيان: ٥/ ١٥٨، والكشاف: ٢/ ٣٦١، والتفسير الكبير: ١٧/ ١٥٠، والبحر المحيط: ٥/ ٢٠٥.
٣٤) المفردات: ٤٣٤.
٣٥) غرائب القرآن: ٤/ ٧.
٣٦) اللباب في علوم الكتاب: ١٠/ ٢٦٠.
٣٧) ينظر: المصدر نفسه: ١٠/ ٤٤٠.
٣٨) ينظر: السراج المنير: ٢/ ٣٩.
٣٩) روح البيان: ٤/ ٥٧.
٤٠) ينظر: روح المعاني: ١٢/ ٤.
٤١) التحرير والتنوير: ١٢/ ٧-٨.
٤٢) التفسير الكبير: ١٧/ ١٥٠.
٤٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٣/ ١٩٠.

٤٤) اللسان: (بلع)، وينظر: تاج العروس: (بلع).
٤٥) البحر المحيط: ٥/ ٢٢٥.
٤٦) التفسير الكبير: ١٧/ ١٨٧.
٤٧) ينظر: جامع البيان: ١٥/ ٣٣٤، ومعالم التنزيل: ٤/ ١٧٩.
٤٨) روح المعاني: ١٢/ ٦١.
٤٩) ينظر: الاتقان: ١/ ٣٩٦، وروح المعاني: ١٢/ ٦١.
٥٠) أنوار التنزيل: ١/ ٢٣٦.
٥١) روح المعاني: ١٢/ ٦١.
٥٢) ينظر: الكشاف: ٢/ ٣٧٦.
٥٣) روح المعاني: ١٢/ ٦٤.
٥٤) المصدر نفسه: ١٢/ ٦٤.
٥٥) المصدر نفسه: ١٢/ ٦٤.
٥٦) المحرر الوجيز: ٣/ ١٩٠.
٥٧) الجامع لأحكام القرآن: ٩/ ٤٠، وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١٠/ ٤٩٧.
٥٨) التحرير والتنوير: ١٢/ ٧٨.
٥٩) المصدر نفسه: ١٢/ ٧٨.
٦٠) تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٣٢٣.
٦١) الجامع لأحكام القرآن: ٩/ ٤١.
٦٢) ينظر: دلائل الإعجاز: ١/ ٥٣، وغرائب القرآن: ٤/ ٢٥، ورح المعاني: ١٢/ ٦٥.
٦٣) ينظر: المصادر أنفسها والصفحات أنفسها.
٦٤) ينظر: غرائب القرآن: ٤/ ٢٥.
٦٥) روح المعاني: ١٢/ ٦٥-٦٦.
٦٦) ينظر: غرائب القرآن: ٤/ ٢٥.
٦٧) ينظر: المصدر نفسه: ٤/ ٢٥.
٦٨) ينظر: اللسان: (غيض).
٦٩) ينظر: الصحاح: (غيض).
٧٠) اللباب في علوم الكتاب: ١٠/ ٤٩٧، وينظر: روح البيان: ٤/ ٨٢.

٧١) ينظر: جامع البيان: ١٥/ ٣٣٤، ومعالم التنزيل: ٤/ ١٧٩، والكشاف: ٢/ ٣٧٦، والمحرر الوجيز: ٣/ ١٩٠، وأنوار التنزيل: ١/ ٣٢٦، والجامع لأحكام القرآن: ٩/ ٤١، ولباب التأويل: ٣/ ٢٣٤، والسراج المنير: ٢/ ٤٩، وفتح القدير: ٢/ ٧٢٣.

٧٢) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١/ ٣١٤، وغرائب القرآن: ٤/ ٣٠٦.

٧٣) الكشاف: ٢/ ٣٧٦، وينظر: البحر المحيط: ٥/ ٢٢٨.

٧٤) أنوار التنزيل: ١/ ٢٣٦، وينظر: البحر المديد: ٣/ ٢٩٦، والتحرير والتنوير: ١٢/ ٧٨.

٧٥) التحرير والتنوير: ١٢/ ٧٨.

٧٦) المصدر نفسه: ١٢/ ٧٩.

٧٧) تحرير التحبير: ١/ ٨٩، وينظر: خزانة الأدب: ٢/ ٢٩١.

٧٨) المحرر الوجيز: ٣/ ١٩٠.

٧٩) معجم مقاييس اللغة: ١/ ١١٤، وينظر: المفردات: ٣٣.

٨٠) المفردات: ٣٣، وينظر: اللسان: (أسن).

٨١) ينظر: اللسان (أسن).

٨٢) جامع البيان: ٢٢/ ١٦٦، وينظر: الكشاف: ٤/ ٣٢٤.

٨٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٦/ ٢٣٦، وروح المعاني: ٢٦/ ٤٨.

٨٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٦/ ٢٣٦، وفتح القدير: ٥/ ٤٩.

٨٥) روح البيان: ٨/ ٣٩٤.

٨٦) العين: ٦/ ١٣.

٨٧) سنن الترمذي: ٣/ ١٨٩.

٨٨) معجم مقاييس اللغة: ١/ ٣٣٤، وينظر: المفردات: ١٠٩.

٨٩) اللسان (ثجج)، وينظر: تاج العروس (ثجج).

٩٠) ينظر: جامع البيان: ٢٤/ ١٥٣، والكشاف: ٤/ ٦٨٦، والتفسير الكبير: ٣١/ ٨.

٩١) التفسير الكبير: ٣١/ ٨-٩.

٩٢) ينظر: جامع البيان: ٢٤/ ٥٣، والكشاف: ٤/ ٦٨٦، والتفسير الكبير: ٣١/ ٩.

٩٣) ينظر: التفسير الكبير: ٣١/ ٩، وروح المعاني: ٣٠/ ١٠.

٩٤) ينظر: جامع البيان: ٢٤/ ١٥٣، والكشاف: ٤/ ٦٨٦، والتفسير الكبير: ٣١/ ٩.

٩٥) روح المعاني: ٣٠/ ١٠.

٩٦) الكشاف: ٤/ ٦٨٦.
٩٧) ينظر: جامع البيان: ٢٤/ ١٥٣، والكشاف: ٤/ ٦٨٦، وروح المعاني: ٣٠/ ١٠.
٩٨) روح المعاني: ٣٠/ ١٠.
٩٩) جامع البيان: ٢٤/ ١٥٥.
١٠٠) ينظر: جامع البيان: ٢٤/ ١٥٥، والنكت والعيون: ٦/ ١٨٤، والكشاف: ٤/ ٦٨٦.
١٠١) ينظر: المصادر نفسها والصفحات نفسها.
١٠٢) جامع البيان: ٢٤/ ١٥٥.
١٠٣) الكشاف: ٤/ ٦٨٦.
١٠٤) اللباب: ٢٠/ ٩٩.
١٠٥) التفسير الكبير: ٣١/ ٩، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٩/ ١٧٤.
١٠٦) روح المعاني: ٣٠/ ١١.
١٠٧) روح البيان: ١٠/ ٢٣٠.
١٠٨) ينظر: الصحاح: (حمم)، واللسان: (حمم)، والقاموس المحيط: (حمم).
١٠٩) ينظر: الصحاح: (حمم)، واللسان: (حمم)، والقاموس المحيط: (حمم).
١١٠) ينظر: الصحاح: (حمم)، والمسلسل: ٢٨٧، واللسان: (حمم)، والقاموس المحيط: (حمم).
١١١) ينظر: النوادر في اللغة: ١٢١، واللسان: (حمم)، والقاموس المحيط: (حمم).
١١٢) ينظر: اللسان: (حمم).
١١٣) ينظر: تفسير غريب القرآن: ١٥٥، ومجمع البيان: ٢/ ٣١٨، والجامع لأحكام القرآن: ٨/ ١٦، وروح المعاني: ٧/ ١٨٧، والتشبيهات القرآنية: ١١٦.
١١٤) ينظر: اللغات في القرآن: ٥٤، ومعاني القرآن للفراء: ٣/ ١١٧، والكشاف: ٤/ ٤٤٩، والاتقان: ١/ ١٢٥، ومن وحي القرآن: ١٥٥.
١١٥) تفسير مجاهد: ٢/ ٧٥٣.
١١٦) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٢٨، ومجالس ثعلب: ٢/ ٤٦٩، والكشاف: ٤/ ٤٦٢.
١١٧) ينظر: التشبيهات القرآنية: ١١٦.
١١٨) ينظر: تفسير مجاهد: ٢/ ٦٤٩-٦٥٠، ومعاني القرآن للفراء: ٣/ ١٢٨، وأدب الكاتب: ٤٣٨، والكشاف: ٤/ ٤٦٤، والبرهان للزملكاني: ٣١١، والتشبيهات القرآنية: ١١٦.
١١٩) معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٢٣٣.

١٢٠) اللسان (دفق).

١٢١) ينظر: تهذيب اللغة: ٣/ ١٩٠ (دفق).

١٢٢) ينظر: تهذيب اللغة: ٣/ ١٩٠ (دفق)، واللسان: (دفق).

١٢٣) ينظر: معاني القرآن واعرابه للزجاج: ٢٣٨، والكشاف: ٤/ ٧٣٦، واللباب: ٢٠/ ٢٦٢.

١٢٤) ينظر: جامع البيان: ٢٤/ ٣٥٤، والتفسير الكبير: ٣١/ ١١٧.

١٢٥) ينظر: الكشاف: ٤/ ٧٣٦، والتفسير الكبير: ٣١/ ١١٧.

١٢٦) روح المعاني: ٣٠/ ٩٧.

١٢٧) المحرر الوجيز» ٥/ ٤٣٧.

١٢٨) ينظر: البحر المحيط: ٨/ ٤٤٩.

١٢٩) الكشاف: ٤/ ٧٣٦.

١٣٠) الكشاف: ٤/ ٧٣٦.

١٣١) البحر المحيط: ٨/ ٤٤٩.

١٣٢) ينظر: اللباب: ٢٠/ ٢٦٣، والسراج المنير: ٤/ ٣٧٨، وأيسر التفاسير: ٥/ ٥٥٢، والتحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٦٢.

١٣٣) ينظر: جامع البيان: ٢٤/ ٣٥٣-٣٥٦، والكشاف: ٤/ ٧٣٦، والمحرر الوجيز: ٥/ ٤٣٧، والبحر المحيط: ٨/ ٤٤٩.

١٣٤) جامع البيان: ٢٤/ ٣٥٦.

١٣٥) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٦٢.

١٣٦) المصدر نفسه: ٣٠/ ٢٦٢.

١٣٧) ينظر: الصحاح (صدد)، وأساس البلاغة: ٤١٦، واللسان: (صدد).

١٣٨) الصحاح: (صدد)، وينظر: اللسان: (صدد).

١٣٩) ينظر: المخصص: ١/ ٤٨٦، اللسان: (صدد).

١٤٠) ينظر: اللسان: (صدد).

١٤١) ينظر: تفسير مجاهد: ١/ ٣٣٤، ومجاز القرآن: ١/ ٣٣٨، والكشاف: ٣/ ٥١٣، ومجمع البيان: ٣/ ٣٠٨، وتحفة الأريب: ١٥٨.

١٤٢) ينظر: تفسير غريب القرآن: ٢٣١.

١٤٣) سنن الترمذي: ٤/ ٧٠٥، وينظر: الترغيب والترهيب: ٤/ ٤٧٨.

١٤٤) ينظر: مجمع البيان: ٣/ ٣٠٨.
١٤٥) التعابير القرآنية: ٢٤٠.
١٤٦) ينظر: مجمع البيان: ٣/ ٣٠٨، والجملة الفعلية ودلالتها في آيات الآخرة: ٨٣-٨٤.
١٤٧) ينظر: بصائر ذوي التمييز: ٣/ ٢٧٨.
١٤٨) مجمع البيان: ٣/ ٣٠٨، وينظر: مباحث في علوم القرآن: ٣٨٧.
١٤٩) ينظر: مرآة العقول: ٥/ ٣.
١٥٠) المفردات: ٤٠٦.
١٥١) ينظر: كنز العرفان: ١/ ٨٠، ومرآة العقول: ٥/ ٤.
١٥٢) ينظر: الكشاف:٣/ ٢٨٩.
١٥٣) مرآة العقول: ٥/ ٤.
١٥٤) ينظر: المغني (لابن قدامة): ١/ ٢١، والمجموع شرح المهذب: ١/ ١٣٠-١٣١.
١٥٥) كنز العرفان: ١/ ٨٠-٨١، وينظر: المغرب: ٢٩٥.
١٥٦) ينظر: كنز العرفان: ١/ ٨٠، ومرآة العقول: ٥/ ٤.
١٥٧) تاج العروس: (طهر).
١٥٨) تهذيب اللغة (طهر): ٢/ ٢٩٦، وينظر: الخلاف للطوسي: ١/ ٤٩.
١٥٩) ينظر: المفردات: ٤٠٦، والمغرب: ٢٩٥، والقاموس المحيط (طهر).
١٦٠) صحيح مسلم: ١/ ٣٧٠.
١٦١) سنن الترمذي: ١/ ١٠٠.
١٦٢) ينظر: المفردات: ٤٠٦، والمغرب: ٩٥، وبدائع الصنائع: ١/ ٨٣، وكنز العرفان: ١/ ٨١.
١٦٣) المفردات: ٤٠٦.
١٦٤) المصدر نفسه: ٤٠٦-٤٠٧.
١٦٥) مرقاة المفاتيح: ١/ ٣٤٤.
١٦٦) المغرب: ٢٩٥، وينظر: مرآة العقول: ٥/ ٤-٥.
١٦٧) النهاية: ٣/ ١٤٧.
١٦٨) فتح الباري (ابن رجب): ١/ ٢٠.
١٦٩) إشارة إلى الطُّهور بالضم بمعنى التطهير، وبالفتح الماء الذي يتطهر به.
١٧٠) مرآة العقول: ٥/ ٥.

١٧١) ينظر: الكشاف: ٣/ ٢٨٩، والتفسير الكبير: ٢٤/ ٧٩، واللباب في علوم الكتاب: ١٤/ ٥٤٣، والبحر المحيط: ٦/ ٤٦٢-٤٦٣، والبحر المديد: ٥/ ٢١٠، وفتح القدير: ٤/ ١١٦، وروح المعاني: ١٩/ ٣٠-٣١، والتحرير والتنوير: ١٩/ ٤٧.

١٧٢) التحرير والتنوير: ١٩/ ٤٧.

١٧٣) ينظر: أساس البلاغة: ٥٣٢، واللسان: (غدق)، وتاج العروس: (غدق).

١٧٤) ينظر: اللسان: (غدق).

١٧٥) أساس البلاغة: ٥٣٢، وينظر: اللسان: (غدق).

١٧٦) ينظر: المفردات: ٤٧١.

١٧٧) ينظر: اللسان (غدق)، وتاج العروس: (غدق).

١٧٨) ينظر: التفسير الكبير: ٣٠/ ١٤٢.

١٧٩) ينظر: المصدر نفسه: ٣٠/ ١٤٢.

١٨٠) التحرير والتنوير: ٢٩/ ٢٣٧-٢٣٨.

١٨١) ينظر: جامع البيان: ٢٣/ ٦٦٢، والكشاف: ٤/ ٦٣٠، والتفسير الكبير: ٣٠/ ١٤٢، وإرشاد العقل السليم: ٩/ ٤٥، والبحر المديد: ٨/ ٢٣٨.

١٨٢) ينظر: الكشاف: ٤/ ٦٣١، وأنوار التنزيل: ١/ ٣٩٩، وإرشاد العقل السليم: ٩/ ٤٥، والبحر المديد: ٨/ ٢٣٨.

١٨٣) ينظر: التفسير الكبير: ٣٠/ ١٤٣.

١٨٤) التحرير والتنوير: ٢٩/ ٢٣٨-٢٣٩.

١٨٥) معجم مقاييس اللغة: ٤/ ٣٢٢، وينظر: المفردات: ٤٨٣، واللسان (غور).

١٨٦) ينظر: المفردات: ٤٨٣، واللسان: (غور).

١٨٧) المصباح المنير: ٧/ ٩٣.

١٨٨) جامع البيان: ١٨/ ٢٦، وينظر: المحرر الوجيز: ٣/ ٥٤٤.

١٨٩) النكت والعيون: ٣/ ٣٠٧.

١٩٠) ينظر: المصدر نفسه: ٣/ ٣٠٨.

١٩١) التفسير الكبير: ٢١/ ١٠٩.

١٩٢) ينظر: روح المعاني: ١٥/ ٢٨١، والتحرير والتنوير: ١٥/ ٣٢٥.

١٩٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ٤٠٩.

١٩٤) اللباب في علوم الكتاب: ١٢/ ٤٩٤.

١٩٥) ينظر: الصحاح: (فرت)، واللسان (فرت)، وتاج العروس (فرت).

١٩٦) المصباح المنير: ٧/ ١٤٩.

١٩٧) تاج العروس: (فرت).

١٩٨) اللسان: (فرت).

١٩٩) ينظر: اللسان: (فرت)، وتاج العروس: (فرت).

٢٠٠) ينظر: جامع البيان: ١٩/ ٢٨٣، والنكت والعيون: ٤/ ١٤٩، والتفسير الكبير: ٣٠/ ٢٤١، وأنوار التنزيل: ١/ ٢٢٤.

٢٠١) ينظر: التفسير الكبير: ٣٠/ ٢٤١.

٢٠٢) أنوار التنزيل: ١/ ٢٢٤.

٢٠٣) اللباب في علوم الكتاب: ١٤/ ٥٤٩، وينظر: روح المعاني: ١٩/ ٣٣.

٢٠٤) الكشاف: ٤/ ٦٨١.

٢٠٥) روح البيان: ١٠/ ٢٢١.

٢٠٦) المفردات: ٦٨.

٢٠٧) ينظر: الصحاح: (برك)، واللسان: (برك).

٢٠٨) ينظر: تهذيب اللغة: ٣/ ٣٧٤ (برك).

٢٠٩) ينظر: اللسان: (برك)، وتاج العروس: (برك).

٢١٠) ينظر: المصادر نفسها.

٢١١) المفردات: ٦٨.

٢١٢) ينظر: النكت والعيون: ٥/ ٣٤٢، والمحرر الوجيز: ٥/ ١٤٠.

٢١٣) ينظر: الكشاف: ٤/ ٣٨٥، وتفسير القرآن العظيم: ٧/ ٣٩٦، ونظم الدرر: ٧/ ٢٥١، وإرشاد العقل السليم: ٨/ ١٢٧، وفتح القدير: ٥/ ١٠٢.

٢١٤) التفسير الكبير: ٢/ ١٧.

٢١٥) المفردات: ٦٨.

٢١٦) التحرير والتنوير: ٢٦/ ٢٩١-٢٩٢.

٢١٧) التحرير والتنوير: ٢٦/ ٢٩٢.

٢١٨) معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٦٧.

٢١٩) اللسان: (سكب).

٢٢٠) ينظر: الصحاح: (سكب)، واللسان: (سكب)، وتاج العروس: (سكب).

٢٢١) ينظر: جامع البيان: ٢٣/ ١١٧، وغريب القرآن (للسجستاني): ٤٢٧، والكشاف: ٤/ ٤٦٠، وزاد المسير: ٨/ ١٤٠، وأنوار التنزيل: ١/ ٢٨٦، والتفسير الكبير: ٢٩/ ١٤٣، واللباب: ١٨/ ٣٩٩.

٢٢٢) روح المعاني: ٢٧/ ١٤١.

٢٢٣) ينظر: المفردات: ٦١٦، واللسان: (معن).

٢٢٤) ينظر: الصحاح: (معن)، واللسان: (معن)، وتاج العروس: (معن).

٢٢٥) المفردات: ٦١٦.

٢٢٦) ينظر: اللسان: (معن).

٢٢٧) ينظر: اللسان: (معن).

٢٢٨) ينظر: المفردات: ٦١٦.

٢٢٩) ينظر: جامع البيان: ٢٣/ ٥٢٠، وغريب القرآن: ٤٢٧، والنكت والعيون: ٦/ ٥٧، والتفسير الكبير: ٣٠/ ٦٧، والجامع لأحكام القرآن: ١٨/ ٢٢٢، والبحر المديد: ٨/ ١٤٩.

٢٣٠) ينظر: العين: ٤/ ٥٠، والمفردات: ٦٧٨، واللسان: (همر).

٢٣١) ينظر: المفردات: ٦٧٨.

٢٣٢) ينظر: جامع البيان: ٢٢/ ٥٧٧، والكشاف: ٤/ ٤٣٤، والمحرر الوجيز: ٦/ ٢٤١، وأنوار التنزيل: ١/ ٢٦٥، واللباب في علوم الكتاب: ٨/ ٤٢٦.

٢٣٣) ينظر: التفسير الكبير: ٢٩/ ٣٣-٣٤، واللباب في علوم الكتاب: ١٨/ ٢٤٦، والبحر المحيط: ٨/ ١٧٥.

٢٣٤) التحرير والتنوير: ٢٧/ ١٨٢.

٢٣٥) التفسير الكبير: ٢٩/ ٣٣-٣٤.

٢٣٦) ينظر: التفسير الكبير: ٢٩/ ٣٤، واللباب: ١٨/ ٢٤٦، والبحر المحيط: ٨/ ١٧٥.

٢٣٧) ينظر: مجاز القرآن: ١/ ٤٠، والصحاح: (مهل)، واللسان: (مهل).

٢٣٨) ينظر: اللسان: (مهل)، والتعابير القرآنية: ٨٣-٨٤، والتشبيهات القرآنية: ١١٣.

٢٣٩) ينظر: الصحاح: (مهل)، واللسان: (مهل).

٢٤٠) المخصص: ٢/ ٢٢٠، وينظر: اللسان: (مهل)، والتشبيهات القرآنية: ١١٣.

٢٤١) ينظر: الصحاح: (مهل)، واللسان: (مهل).

٢٤٢) ينظر: الجمان في تشبيهات القرآن: ٢٤٧، وأصول الدين الإسلامي: ٤٩٣.

٢٤٣) ينظر: تفسير مجاهد: ١/ ٣٧٦، والكشاف: ٢/ ٦٧٢، ومجمع البيان: ٣/ ٤٦٦، ومختصر تذكرة الإمام القرطبي: ١٢٥.

٢٤٤) ينظر: التعابير القرآنية: ٨٣-٨٤.

٢٤٥) معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٢٢٧.

٢٤٦) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٢٢٧، والصحاح: (مهن)، واللسان (مهن).

٢٤٧) اللسان (مهن)

٢٤٨) ينظر: الصحاح (مهن)، واللسان: (مهن)، وتاج العروس: (مهن).

٢٤٩) ينظر: جامع البيان: ٢٠/ ١٧٢، والكشف والبيان: ٧/ ٢٣٧، ومعالم التنزيل: ٦/ ٣٠١، ولباب التأويل: ٧/ ١٩٧.

٢٥٠) ينظر: نظم الدرر: ٦/ ٥٣، وإرشاد العقل السليم: ٧/ ٨١، روح المعاني: ٢١/ ١٢٤.

٢٥١) التفسير الكبير: ٢٥/ ١٥١-١٥٢.

٢٥٢) ينظر: اللباب: ٢٠/ ٧٣.

٢٥٣) التحرير والتنوير: ٢١/ ٢١٦.

٢٥٤) المصدر نفسه: ٢١/ ٢١٦.

٢٥٥) المفردات: ٦٧٨.

٢٥٦) ينظر: الصحاح: (وحد)، واللسان: (وحد).

٢٥٧) ينظر: جامع البيان: ١٦/ ٣٤٢، والكشف والبيان: ٥/ ٢٧٠، والنكت والعيون: ٣/ ٩٤، والبحر المحيط: ٥/ ٣٥٧.

٢٥٨) ينظر: جامع البيان: ١٦/ ٣٤٠، والمحرر الوجيز: ٣/ ٣٠٠.

٢٥٩) ينظر: جامع البيان: ١٦/ ٣٤١، وروح المعاني: ١٣/ ١٠٢.

٢٦٠) ينظر: روح البيان: ٤/ ٢٢٤.

٢٦١) البحر المحيط: ٥/ ٣٥٧، وينظر: نظم الدرر: ٤/ ١٢٥.

٢٦٢) البحر المديد: ٣/ ٤٣٩.

٢٦٣) الجواهر الحسان: ٢/ ٢٦٤.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١) الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط٣، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.

٢) أدب الكاتب: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط٤، ١٩٦٣م.

٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

٤) أساس البلاغة: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢-٢٠٠١م.

٥) الاشتقاق: أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد (ت٣٢١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط٣، د.ت.

٦) أصول الدين الإسلامي: الدكتور رشدي محمد عليان، والدكتور قحطان عبد الرحمن الدوري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط٣، ١٩٨٦م.

٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٧٩١هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م.

٨) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المملكة العربية السعودية، ط٥، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٩) الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ)، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٠) البحر المحيط: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١١) البحر المديد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الإدريسي الشاذلي الفاسي (١٢٢٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: أبو

بكر علاء بن مسعود الكاساني الحنفي (ت٥٨٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

١٣) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن: كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (ت٦٥١هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد مطلوب، والدكتورة: خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٩٧٤م.

١٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، ١٩٦٨م.

١٥) تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (١٢٠٥هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ت.

١٦) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر: عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر المعروف بابن أبي الإصبع (ت٦٥٤هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

١٧) التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

١٨) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد مطلوب، والدكتورة خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٩٧٧م.

١٩) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت٦٥٦هـ)، ضبط أحاديثه وعلّق عليه: مصطفى محمد عمارة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٨٧م.

٢٠) التشبيهات القرآنية والبيئة العربية: واجدة مجيد الأطرقجي، الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨م.

٢١) التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد القيامة: ابتسام مرهون الصفار، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ط١، ١٩٦٧م.

٢٢) تفسير غريب القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٨م.

٢٣) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي القرشي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد بن عبد الرحمن بن سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٤) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي

(ت٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٢٥) تفسير مجاهد: أبو الحجّاج مجاهد بن جبر المخزومي (ت١٠٤هـ)، قدّم له وحققه وعلّق حواشيه: عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي، المنشورات العلمية، بيروت، د.ت.

٢٦) تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والإنباء والنشر، د.ت.

٢٧) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله المرادي المصري (ت٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.

٢٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

٢٩) جامع الدروس العربية: الشيخ مصطفى الغلاييني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.

٣٠) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٣١) الجمان في تشبيهات القرآن: ابن ناقيا البغدادي (ت٤٨٥هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد مطلوب، والدكتورة خديجة الحديثي، الجمهورية العراقية، بغداد، ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م.

٣٢) الجملة الفعلية ودلالتها في آيات الآخرة: مجيد طارش عبد، رسالة ماجستير، مطبوعة على الآلة الكاتبة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ١٩٩٧م.

٣٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت٨٧٥هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٣٤) خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ)، تحقيق: محمد نبيل طريفي، وإميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

٣٥) الخلاف: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق: السيد علي الخراساني، والسيد جواد الشهرستاني، والشيخ محمد مهدي نجف، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم-إيران، ط١، ١٤٠٩هـ.

٣٦) دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني

(ت٤٧١هـ)، تحقيق: الدكتور محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٣٧) روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي الحنفي الخلوتي (ت١١٢٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٣٨) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٣٩) زاد المسير في علم التفسير: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

٤٠) السراج المنير: محمد بن أحمد الشربيني (ت٩٩٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٤١) سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: الدكتور حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، د.ت.

٤٢) سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٤٣) الصّحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٤٤) صحيح مسلم: مسلم بن الحجّاج بن مسلم النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٤٥) الطبيعة في القرآن الكريم: الدكتور كاصد ياسر الزيدي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.

٤٦) العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة هلال.

٤٧) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٤٨) غريب القرآن (نزهة القلوب): أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني (ت٣٣٠هـ)، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، الناشر: دار قتيبة، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٤٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري: عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٩٦م.

٥٠) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

٥١) القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٥٢) الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (ت١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٥٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٥٤) الكشف والبيان: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٥٥) كنز العرفان في فقه القرآن: أبو عبد الله جمال الدين المقداد بن عبد الله التستري (ت٨٢٦هـ) بإشراف: آية الله واعظ زادة الخراساني، تحقيق: السيد محمد القاضي، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، ط١، ١٤٢٢هـ.

٥٦) الكنز اللغوي في اللسان العربي: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت (ت٢٤٤هـ)، سعى في نشره وتعليق حواشيه: الدكتور أوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٣م.

٥٧) لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن): علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت٧٢٥هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٥٨) اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٥م.

٥٩) اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص عمر بن علي المعروف بابن عادل الدمشقي (ت٦١٦هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٦٠) لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، د.ت.

٦١) اللغات في القرآن: أخبر به: إسماعيل بن عمرو المقرئ عن عبد الله بن

الحسين بن حسنون المقرئ، بإسناده إلى ابن عباس (ت٦٨هـ)، حققه ونشره: صلاح الدين المنجد، مطبعة الرسالة، القاهرة، ط١، ١٩٤٦م.

٦٢) مباحث في علوم القرآن: الدكتور صبحي الصالح، مطبعة جامعة دمشق، ط٢، ١٩٦٢م.

٦٣) مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت٢١٠هـ)، عارضه بأصوله وعلّق عليه: الدكتور محمد فؤاد سزكين، مطبعة السعادة، مصر، ط٢، ١٩٧٠م.

٦٤) مجالس ثعلب: أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت٢٩١هـ)، شرح وتحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٨٠م.

٦٥) مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسين الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، عني بطبعه: أحمد عارف الزين، مطبعة العرفان، صيدا، سوريا، ١٣٥٦هـ.

٦٦) المجموع شرح المهذب: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت٦٧٦هـ)، نشر: زكريا علي يوسف، مطبعة الإمام، مصر، د.ت.

٦٧) المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٦٨) مختصر تذكرة الإمام القرطبي المسمى (التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة): عبد الوهاب الشعراني، مطبعة محمد علي صبح وأولاده، مصر، ١٩٦٨.

٦٩) المخصص: ابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط١، ١٤١٧هـ -١٩٩٦م.

٧٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤١هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م.

٧١) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ﷺ: محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، إخراج ومقابلة وتصحيح: السيد محسن الحسيني الأميني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٤هـ.

٧٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ملاّ علي القاري (ت١٠١٤هـ)، تصحيح: محمد الزهري القمراوي، المطبعة الميمنية، مصر، ١٨٩١م.

٧٣) المسلسل في غريب لغة العرب: أبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي (ت٥٣٨هـ)، قدّم له وحققه

وعلّق عليه: الأستاذ محمد عبد الجواد، راجعه الأستاذ إبراهيم الدسوقي البساطي، مصر، ١٩٥٧م.

٧٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.

٧٥) معالم التنزيل: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)، حققه وخرّج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٧٦) معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

٧٧) معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السّري الزّجاج(ت٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبدة شلبي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٧٨) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، المنشورات الإسلامية، قم-إيران، ١٣٧٨هـ.

٧٩) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٨٠) المغرب في ترتيب المعرب: أبو الفتح ناصر بن عبد السيّد المطرزي (ت٦١٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

٨١) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: ابن قدامة المقدسي (ت٦٣٠هـ)، مطبعة الإمام، مصر، د.ت.

٨٢) مفردات ألفاظ القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق وضبط: إبراهيم شمس الدين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٨٣) المنصف: أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، دار إحياء التراث القديم، ط١، ١٩٥٤م.

٨٤) من وحي القرآن: الدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة المطبوعات العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٨٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي(ت٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٨٦) النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت٤٥٠هـ)،

تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٨٧) النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناجي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.

٨٨) النوادر في اللغة: أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري (ت٢١٥هـ)، علّق عليه وصححه: سعيد الخوري الشرتوني اللبناني، المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٩٤م.